

محفوظ

حول العرب والعروبة



Bibliotheca Alexandrina

0095743



الدار المصرية للغة

مكتبة

حول العرب والعروبة

الناشر : الدار المصرية اللبنانية

١٦ ش عبد الحالى ثروت - القاهرة

تليفون : ٣٩٢٣٥٢٥ - ٣٩٢٦٧٤٣

فاكس : ٣٩٠٩٦١٨ - برقياً : دار شادو

ص . ب : ٢٠٢٢ - القاهرة

رقم الإيداع : ٨٩٥٧ / ٩٦

التقييم الدولى : 6 - 288 - 270 - 977

جمع وطبع : عربية للطباعة والنشر

العنوان : ٧ - ١٠ شارع السلام - أرض اللواء - المهندسين

تليفون : ٣٠٣١٠٤٣ - ٣٠٣٦٠٩٨

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة.

الطبعة الأولى : جمادى الأولى ١٤١٧ هـ - أكتوبر ١٩٩٦ م

نجيب محفوظ

حول العرب والعروبة

أعدّه للنشر
فتحى العشري

الناشر
دار القصيدة اللبنانية

نجيب محفوظ من الجائزة الى الطعنة

نجيب محفوظ بعد جائزة نوبل ، هو نفسه نجيب محفوظ قبل جائزة نوبل . . الشخصية ، الحياة اليومية ، المسكن والملبس ، المأكولات والمشروبات ، نوع السجائر ، النظارات والسماعات ، الأوراق والأقلام ، الأطباء والأدوية ، الزملاء والأصدقاء ، المقاهى والكازينوهات ، السير فى الصباح والمساء ، القاهرة والإسكندرية . .

صحيح أن أشياء اختفت أو تراجعت ، وأشياء أخرى ظهرت أو أضيفت فى حياة نجيب محفوظ . . ولكن هل هى طارئة أو عابرة نتيجة لجائزة نوبل ؟ وإلى متى ؟ .

لقد اختفت أو كادت عادة القراءة اليومية ، فيما عدا الصحف والمجلات ، كما اختفت أو كادت عادة الكتابة اليومية ، فيما عدا « وجهة نظر » الأسبوعية التى تنشر صباح كل خميس بجريدة الأهرام . .

وظهرت بكثافة أضواء وكاميرات السينما

والتليفزيون، ومسجلات الإذاعة والصحافة ووكالات الأنباء ، كما زادت اللقاءات والمقابلات والأحاديث والتصريحات ، وأضيفت مسئولية الرد على الرسائل والبرقيات والتلكسات ، سواء كانت تهنئ أو عقوداً أو دعوات ، وكذلك التوقيع على صورته الفوتوغرافية ، أو صور الراغبين الشخصية ، أو البطاقات المرسلة .

وكثيراً ما حدث ويحدث وضع عُملة ورقية من فئة الدولار أو الإسترليني في المظروفات مصحوبة بطلب التوقيع كمصروفات بريد ، فيوقع عليها نجيب محفوظ ويعيدها إلى طالب التوقيع .

ولهذا يقول نجيب محفوظ : « لقد أصبحت موظفاً عند نوبل » أو جائزة نوبل ، أو مؤسسة نوبل .

ولم تكن كل التوقعات تنتظر كل هذا الكم الهائل من الاهتمام العالمى على مدى هذه الفترة الزمنية الطويلة ، منذ إعلان فوز نجيب محفوظ بجائزة نوبل في الثالث عشر من أكتوبر سنة ١٩٨٨ .

إن ما حدث قد فاق كل التوقعات التى لم تعد تقدر على تحديد وقت انتهاء أو انخفاض هذه الموجة الجارفة من الاهتمام ، هل هو قبل أو مع إعلان اسم الفائز الجديد ؟! . . أم ترى يستمر هذا الاهتمام حتى

بعد إعلان اسم الفائز الجديد ١٩ وبالتالي هل تخفى العادات الطارئة ١٩ أم أنها أصبحت جزءاً لا يتجزأ من عادات نجيب محفوظ الأصيلة ١٩ وهل يعود نجيب محفوظ إلى القراءة والكتابة بالقدر نفسه كما كان ذلك قبل حصوله على جائزة نوبل ١٩ أسئلة لا يمكن الإجابة عنها .

أما أسرة نجيب محفوظ الصغيرة : زوجته وابنتاه ، فيمكن التأكيد على أنها « أسرة ضد الأضواء » ، وعلى أن واحدة منهن لم تتغير شخصيتها وعاداتها ، برغم تدفق الموجات الرسمية والإعلامية الأولى على البيت الصغير المطل على النيل ، ربما بفضل مبادرة « الأهرام » بنقل مركز الثقل إلى « قاعة توفيق الحكيم » التي تحمل رقم ٦٠٦ بـ برج الأهرام - الدور السادس ، والتي لم تفتح بعد رحيل الحكيم إلا لنجيب محفوظ ، الذي أصر منذ اللحظة الأولى على الجلوس على الكنب الطويلة في مواجهة مكتب الحكيم .

أما الاهتمام الذى فاق كل التوقعات فيرجع إلى أن نجيب محفوظ هو أول أديب يكتب باللغة العربية ويفوز بجائزة نوبل العالمية بعد ٨٨ عاماً من بداية منح الجائزة سنوياً ، فقد بدأت عام ١٩٠١ ، فيها عدا

السنوات التي لم تمنح فيها الجائزة نتيجة لاندلاع الحربين العالميتين الأولى والثانية ، وبعد ٨٤ أديباً فازوا بها كاملة أو مناصفة . . هذا فضلاً عن أنه أول أديب عربي يفوز بهذه الجائزة بعد فوز الإفريقي سونيكا ، فقد حظيت القارات الأخرى بنصيب الأسد من جوائز نوبل المختلفة .

كذلك فإن عربياً واحداً لم يفز قبل نجيب محفوظ بأى من جوائز نوبل العالمية الأدبية والعلمية ، فيما عدا نصف جائزة السلام التي فاز بها الرئيس أنور السادات .

وأخيراً فإن نجيب محفوظ قد فاز وحده بجائزة ١٩٨٨ برغم الأسماء اللامعة التي كانت مرشحة معه ، والمنافسة التي اشتدت في التصفية النهائية .

ولا بد من ذكر سبب جوهرى يتمثل في أن نجيب محفوظ لا يختلف حوله اثنان في الداخل والخارج من ناحية ، وأنه الأجدر من ناحية أخرى ، خاصة في عدم وجود العقاد وطه حسين من ناحية ، وتوفيق الحكيم من ناحية أخرى ، وإلا أصبح الوضع غاية في الحرج لمؤسسة نوبل ، ولنجيب محفوظ نفسه ، وللجميع أيضاً .

ولابد من ذكر سبب آخر هو الذى شجع على هذا الاهتمام الشديد ، ويتمثل فى شخصية نجيب محفوظ ذاتها ، فمنذ إعلان نأ الفوز و هو يرحب بكل أجهزة الإعلام ، فلم يَخْتَفِ عن الأنظار ، ولم يردّ أحدًا ، ولم يملّ الأحاديث ، بل استجاب لتنظيم العملية الإعلامية ، وحرص على الالتزام بهذا التنظيم وتقديره ، فيما عدا الذهاب بنفسه إلى «ستوكهولم» لتسلم الجائزة ، وتلبية الدعوات خارج مصر . .

نجيب محفوظ قبل فوزه بجائزة نوبل كان يحظى على مستوى الوطن العربى بالتقدير الذى يستحقه ، وكانت أعماله تشر خارج مصر فى أكثر من بلد عربى ، فى حين أنه على مستوى العالم لم يكن اسم نجيب محفوظ معروفًا إلا فى الأوساط الثقافية ، نتيجة لترجمة بعض أعماله إلى عدد من اللغات ، وأهمها : الفرنسية ، والإنجليزية ، والإيطالية ، والأسبانية ، والألمانية ، والروسية ، والصينية ، والسويدية .

وبعد فوزه بجائزة نوبل أصبح نجيب محفوظ يحظى على مستوى العالم بمزيد من التقدير ، وارتفعت نسبة توزيع كتبه وكمية المطبوع منها ، سواء باللغة العربية أو بمعظم لغات العالم ، ولم تعد تُطبع وتُنشر فى مصر وحدها ، بل فى لبنان ، والعراق وسوريا والأردن ،

والجزائر وتونس ، والمغرب ، وفي مناطق كثيرة من العالم ، مضافة إلى الدول التي ذكرناها من قبل .

وكما عرفت أعمال نجيب محفوظ طريقها إلى المسرح والسينما والإذاعة والتلفزيون في الوطن العربي قبل فوزه بجائزة نوبل ، بدأت تزحف بعد فوزه بجائزة نوبل إلى إذاعات وتلفزيونات العالم ، بل وتم الاتفاق بالفعل على إنتاج بعض أعماله في السينما العالمية ، وتقديم بعضها على مسارح العواصم الهامة .

وبعد فوز نجيب محفوظ بجائزة نوبل ، بدأت دور النشر العربية في تقديم بعض أعماله بشكل مبسط مزود بالصور والرسومات للشباب والأطفال .

ولكن حتى هذه اللحظة لم تكن دور النشر العربية والعالمية قد فكرت في نشر مقالاته الطويلة أو القصيرة .

ووقعت الواقعة . .

صحيح أن جائزة نوبل العالمية في الآداب لم تكن وساماً على صدر الكاتب المصرى الكبير نجيب محفوظ فحسب ، ولكنها كانت وساماً على صدر مصر والوطن العربى كله . . وصحيح أيضاً أن طعنة السكين الغادرة قد انغرست في عُنق الكاتب الكبير كما

انغرس في عُنق كل مواطن صالح على أرض الكنانة ،
وكل إنسان شريف في العالم أجمع . وإن كانت الجائزة
قد حققت كل أهدافها في رفع راية العروبة واسم
مصر ، فإن الطعنة لم تحقق أى هدف ، فقد نَجَّى الله
الرجل وأنعم عليه بالشفاء ، وأكرمه بمواصلة العطاء ،
وطمأن قلوب أهله وأصدقائه ومحبيه ومواطنيه
والمدافعين عن حق الحياة وحق الرأى ، المناضلين ضد
التطرف والإرهاب .

لقد تحولت الطعنة الغادرة إلى جائزة أكبر ، ووسام
أرفع ، وصفحة ناصعة ، ليس في تاريخ الرجل
وحده ، بل في تاريخ الأمة أيضًا ، بعد أن حاولت
الأيدي القذرة تحويل التكريم المشرف إلى تجريم آثم ،
وقلب الإشادة الكريمة إلى إدانة دنسة ، وتغيير الأمان
الهادئ إلى غدر هادر ، واستبدال الحرية المطلقة
بالحركة المقيدة ، ولكن إرادة الله كانت أقوى ، وسيف
العدل كان أمضى ، وشجاعة الرجل كانت أصلب ،
وحب الناس كان أرحم ، هذا الحب الذي كسر
السكين وقبض على اليد المخضبة بالدماء ، وتضرع إلى
الله العلى القدير أن يلطف بشيخوخة الرجل الطيب
وبجسده النحيل ، حتى تظل يده ممدودة لمصافحة
الجميع ، وهامته مرفوعة في ظل الجميع .

وهذه المجموعة من الكتب هى باكورة منشورات
الدار المصرية اللبنانية الخاصة بإنتاج نجيب محفوظ
من المقالات ، بعد أن اقتنع صاحب الدار الأستاذ
محمد رشاد بالفكرة ، وأقبل على تنفيذ المشروع بترحيب
من نجيب محفوظ . . وهى مقالات كتبها نجيب
محفوظ قبل حصوله على جائزة نوبل - من عام ١٩٧٤
حتى عام ١٩٨٧ - على أمل نشر مقالاته السابقة على
تلك الحقبة ، ومنذ الأربعينيات وحتى الآن !

هكذا فكرت ونقبت واخترت وأعددت هذه
المقالات فى ثلاثة كتب أولاً ، هى : « الدين
والديمقراطية » ، و « الشباب والحرية » ، و « الثقافة
والتعليم » ، لتكون البداية ، بعد أن أضاف نجيب
محفوظ إلى كل منها كلمة « حول » ، تعبيراً عن تواضعه
المعهود .

وهكذا تحققت تلك الفكرة ، وظهرت تلك
المقالات إلى النور . .

وهذه المجموعة الجديدة من الكتب التى تضم
وجهة نظر كاتبنا الكبير نجيب محفوظ تبدأ قبيل
حصوله على جائزة نوبل فى أكتوبر عام
١٩٨٨ ، وتنتهى مع الطعنة الغادرة فى أكتوبر ١٩٩٤

.. وتتكون من خمسة كتب ، هي : « حول التدين والتطرف » ، و « حول العدل والعدالة » ، و « حول التحرر والتقدم » ، و « حول العلم والعمل » ، و « حول العرب والعروبة » ..

إنها بحق حوليات نجيب محفوظ التى نرجو ونأمل أن تستمر فى الصدور حتى تستوعب كل ماكتبه الكاتب الكبير من وجهات نظر وآراء مختلفة ، بعد أن ظلت كتبه مقصورة على إنتاجه الروائى والقصى والمسرحى ، دون مقالاته ذات المستوى الرفيع الذى لا يقل بأى حال عن مستوى أعماله الإبداعية الشهيرة .. عندئذ يحق لنا أن نتوجه بالشكر والتقدير لناشرنا المثقف محمد رشاد الذى تحمس لهذا المشروع القومى الكبير ، كما توجهنا إليه بالشكر والتقدير عند بداية تنفيذ هذا المشروع .

والثقة كل الثقة ، فى أن تحظى هذه الكتب بالتقدير والانتشار اللذين تحظى بهما أعمال نجيب محفوظ الروائية والقصصية والمسرحية .. والثقة كل الثقة ، فى أن تترجم هى أيضاً إلى معظم لغات العالم ، بل كل لغات العالم .. والله هو الموفق دائماً !

فتحى العشرى

بين الواقع والحلم

في حياتنا واقع ، وفي حياتنا أيضاً حلم . أمّا الواقع فهو جملة الحقائق التي تنظم مسيرتنا في الداخل والخارج ، وأما الحلم فهو ما نود أن نكونه غداً أو بعد غد . وشعوب كثيرة تماثلنا في ذلك ، ولكن لعلنا وحدنا الذين يتصرفون أحياناً بوحى من حلمهم لا من واقعهم ، فيتعرضون بذلك لمتابعب ما كان أغناهم عنها . فما هو واقعنا ؟ وما هو حلمنا ؟

واقعنا في الداخل أننا نجاهد بصبر وعزم تحديات محفوفة ، مثل تهلهل هياكلنا الأساسية ، والاختلال المفزع بين إنتاجنا واستهلاكنا ، وديوننا ، وبكائنا المتصاعد ، وأفاتنا الاجتماعية المهلكة . . وواقعنا في الخارج أننا ذوو علاقة خاصة بالولايات المتحدة ، ومعاهدة سلام مع إسرائيل ، ومقاطعة شبه شاملة مع البلاد العربية . أما حلمنا فهو أن نحقق نهضتنا من ناحية ، وأن نستعيد دورنا العربى التاريخى من ناحية أخرى . وكما قلت ، فطبيعى أن يكون للأمة واقع وحلم ، وطبيعى أيضاً أن تسعى إلى تحويل الحلم إلى واقع ، مع الحرص على إيجابيات واقعها الأول ، أما غير الطبيعى فهو أن تعمل بوحى من الحلم كأنه واقع ، أو أن تتجاهل الواقع الحقيقى .

من حقنا وواجبنا أن نحتج على كل عدوان ، وأن نغضب لأى خرق

للقانون الدولي . . ومن حقنا وواجبنا أن نهدي عواطفنا الطيبة ، وأن نسدي نصائحنا الخاصة ، بل وأن نسعى في الخير ما وجدنا إلى ذلك سبيلاً ، ولكن ليكن ذلك دائماً في نطاق الواقع ودون تجاوز للحقائق ، ومع الحرص الكامل على المصلحة العامة ، واستقرار الوطن وأمنه وسلامته وكرامته . ودون تورط في فعل أو موقف من شأنه التفريط في صديق مؤكد لمصلحة صديق محتمل ، أو زلزلة واقع راهن لحساب حلم لم يتحقق بعد . ولا يعني هذا أنني مع الواقع دون قيد أو شرط ، ولا أنني ضد الحلم بحال من الأحوال ، ولكن الأمانة والإخلاص والصدق تقتضي أن أعلن ما كتبت .

(١٩٨٦/١/٢)

القومية العربية بين الواقع والحلم

٨

القومية العربية حلم كل عربى أمين ، أمّا واقع العرب فهو ما ترى وما تسمع مما لا حاجة بى إلى عرضه . وللقومية العربية أعداء فى الخارج لايمكن الاستهانة بقوتهم ، كما أن لها معارضين داخل كل بلد عربى لأسباب شتى ، وفضلاً عن هذا وذاك فهى تحتاج إلى خطوات تمهيدية حتى يصلب عودها وتنضج فكرتها وتستقر فى القلوب والإرادات .

من سوء الحظ أن العرب تصرفوا فى ظروف تاريخية خطيرة بوحي من الحلم كأنه واقع ، متجاهلين الواقع الحقيقى ، فباءوا فى كل مرة بخسران عظيم . فعلوا ذلك عام ١٩٤٨ عندما قرروا خوض الحرب دفاعاً عن فلسطين ، معتمدين على وهم وحدتهم ، متجاهلين أنهم فى واقعهم بلدان متفرقة خاضعة لأكثر من استعمار غربى ، ولو وقفوا عند حدود واقعهم لكان الفلسطينيون جميعاً اليوم فى فلسطين تحت أى صيغة يتم الاتفاق عليها بينهم وبين اليهود ، ودولة الانتداب ، وهيئة الأمم ، وحتى لو كان قضى عليهم بظلم قليل أو كثير فالظلم لايدوم ، وحسبك أن تذكر ما يجرى اليوم فى جنوب إفريقيا ، ولكن التعامل مع الحلم ضيع فلسطين ، وشرّد الفلسطينيين ، وأنزل الهزيمة بالدول العربية مجتمعة . وفعلوا ذلك تحت مظلة زعامة عبدالناصر ، فارتفع صوت الوحدة ، حتى خال الأعداء أنها قريبة حقاً ، وغطى على أصوات كثيرة كانت

تغمغم هنا وهناك ، مكرسة التفرقة ، بل مضمرة العداة ، وجاءت النتيجة مفجعة مخزية يوم ٥ يونيو الأسود .

خير ما يقال للعرب في حاضرهم المحزن ما نادى به الشيخ النبيل سقراط : «اعرف نفسك» . وخير ما يُذَكَّرُون به قول القدير المتعال : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ ، وليذكروا بعد ذلك وقبل ذلك أن وحدتهم هي الحلم المنشود لا الواقع القائم ، وأن دورهم اليوم أن يحققوا السلام على أساس الواقع ، وأن يبحثوا عما لا يختلفون فيه ليعملوا فيه بهدوء وإخلاص ومثابرة ، ولن يتهيأ ذلك مثلما يتهيأ في مجالى الثقافة والتكامل الاقتصادى ، وليتركوا الباقي للزمن ، وهو طبيب حكيم في جبر الكسور وتضميد الجراح واسترداد الحقوق الضائعة .

(١٩٨٦ / ١ / ٩)

نحو وحدة عربية جديدة

تاريخنا الطويل يشهد بأن موقعنا المتوسط بين جناحي العالم العربى جعلنا الملتقى والمنطلق لتياراته المتضاربة ، كما فرض علينا دوراً نوّديه لضم الجناحين ، أو مديهما بالقوة التى تمكنهما من التحليق ، أو فى الأقل دَفْع الأذى عنهما ، وكأنها ندفعه عن أنفسنا . وإن أردت شواهد على ذلك فارجع إلى العهد الفاطمى ، أو عهد صلاح الدين ، أو محمد على ، أو جمال عبد الناصر . بل ارجع إذا شئت إلى العصر الفرعونى نفسه .

من أجل ذلك حق لنا أن نقول عن دورنا العربى : إنه قَدَرْنَا الذى لا فكاك منه . ولكن الزمن تغير ، فما كان صالحاً للأمس لم يعد صالحاً لليوم . اليوم تقوم على ساحة العالم دول عملاقة تغطى استراتيجيتها خطوط الطول والعرض ، وتتدفق مسئولياتها ومصالحها بغير حدود . وتبها المسرح لرواية جديدة ، وبالتالي يجب أن تتغير الأدوار ، وأن تتساءل الأمم الصغيرة عما بقى لها فى العالم الجديد من دور يناسب حجمها ويليق بمجدها معاً .

ولأن هذا السؤال لم يستوعبه محمد على ولا جمال عبد الناصر فقد انتهى كل منهما بنكسة أودت به وأوشكت أن تودى بوطنه . فهيهات أن نلقى اليوم ما يليق بنا فى مجالات الزعامة أو القوة أو السياسة ، ولكن

أمامنا مجالاً آخر في الحضارة بما تحوى من تراث ومعاصرة ، وهو القيمة الحقيقية التى تعتز الإنسانية بإبداعها فوق الأرض . وفى هذا المجال تُقاس الهمم لا بالحجم ولا بالكثافة ولا بالقوة ، ولكن بالقيمة والفائدة وحُسن الأثر .

إن دورنا الحقيقى أن نتعلم ونستشف ونبدع ، وأن نعطى العالم مثلاً نأخذ منه . وحذارٍ أن تظن أننى أدعو إلى الانعزال عن الأمم العربية ، ولكننى أدعو إلى وحدة تنهض أساساً على التكامل الاقتصادى والثقافى والعلمى ، بعيداً عن التحدى والاستفزاز وتبديد المال فيما لايفيد . فلنعرف دورنا ، ولننتهى لإتقانه ، ولننتخل عن أحلام مَضَى عهدها وانقضى ، ولنؤمن بكل قوة بأن دورنا الجديد أعظم من سابقه وأبقى .

(١٩٨٦ / ١ / ١٦)

هذا العيد

مازلنا نعتبر يوم ٢٢ فبراير عيدًا للوحدة ، وقد يبعث ذلك في حالنا الراهنة الدامية المتردية على الأسى ، أو إن شئت على السخرية . ولكن الإصرار على تكريسه عيدًا برغم ذلك تذكيرًا لا بأس به بطموح قديم إلى تحقيق حلم للقوة والمجد ، ومواجهة التحديات بقلب واحد عامر بالثقة ، مستند إلى نبل أثيل ، وماضٍ عريق متطلع إلى غدٍ حافل بالرغبة الصادقة في التحرر والنهوض وتحقيق الذات .

وقد خرجنا من تلك التجربة المرة بيقين بأن السياسة بحر يموج بالإغراء والشقاق ، وتصطبغ أمواجه بالأحقاد والأنانية ، وأن على العرب إذا التمسوا لأنفسهم مرفأً في هذا البحر فعليهم أن يُنحُوا جانبًا ما يختلفون فيه ، وأن يتوجهوا بكليتهم إلى ما يتفقون عليه ، فإن يكن لا مفر من خلافٍ فليُتِمَّ رسوهُ ماشاء لهم الهوى تحت شرط ألا يجور على مايتفقون فيه ، أو يعطله ، أو يؤجله ، أو يضعفه . وثمة تجارب تؤكد إمكان ذلك ، مثل نجاح بعض المؤتمرات العلمية والفنية ، والتعاونيات الاقتصادية ، تمت جميعها في حمأة الخلافات السياسية .

ولا خلاف بيننا ولا تناقضات فيما يتعلق بالثقافة والاقتصاد . لنا أصول ثقافية مشتركة ، وشغف واحد بأشكالها المختلفة ، ووجداننا وعقولنا متفتحة حَسَنَةً الاستقبال لما يلقي فيها من إبداعات العقول

والقلوب . كذلك فإن اقتصادنا متكامل في مجملته ، بين شعوب تعج
 بالسكان ، وأخرى يتوافر لها المال ، ولدينا أرض شاسعة يمكن أن تهيب
 لنا الغذاء والكساء ، وأن تحررنا من ربقة الحاجة إلى الغير . وإذا اقتصر
 السعى على الثقافة والاقتصاد تحققت لنا وحدة الروح والمادة ، وأحرزنا
 قوة وارتفاعاً على جميع مستويات الحياة . ولعل الهدف الأخير الذي
 ضللنا السبيل إليه يأتي بعد ذلك سعيًا بغير جهد ولا عقبات .

يقال : إن المِخَن تُعَلَّم الإنسان ، وأظن أنه قد أصابنا منها ما يكفي
 لتعليم أهل الأرض جميعاً .

(١٩٨٧ / ٢ / ٢٦)

توحيد القطرين

مصر الفقيرة تعاني مُرَّ المعاناة . تخطف لقمتهما من بين أنياب وحش الغلاء الضارى . يشغلها الصراع عن المسرات والقيم ، عن كل شيء ، حتى المأوى والدواء . يمضى العمر فلا يهنا لها قلب ، أو يتغذى لها عقل . الآباء كادحون ، والأبناء ضائعون ، حياتها حاضر مُحزن بلا ذكريات ولا وعود .

ومصر الغنية تتخبط في نسيج حضارة أخرى تلهو بشمار الحضارات المتقدمة ، أموالها مُجمّدة أو مهربة أو مبعثرة ، سكرى بالترف . سلوكها استفزازى ، نسيت تماماً أنها منبثقة من مصر الفقيرة ، حتى التحية لا تردها ، واللغة لا تتكلمها . لها ملاهيها وفنها ، وأحلامها من صنع يديها .

والحكومة قلقة بين الجانبين ، تتكلم بلغة الفقراء مرة وبلغة الأغنياء مرة ، تود أن تؤخّذ القطرين وتزواج بين النقيضين ، وفي سبيل ذلك تُنفذ الخطوة بعد الخطوة ، وتخطب بلغة ديمقراطية ، وتلوح برايات القانون ، وتدعو إلى العمل والإنتاج .

في هذا الجو تتكاثر الجرائم ، ويشب المحبطون فوق القانون ، وتتكاثر سُحب الاحتمالات المخيفة في أفق الغيب .

ماذا يُطلَّب من الحكومة - بالإضافة إلى جهدها المبذول ؟ إنَّ عليها أن تُنقى ساحتها من شوائب الاستثناءات وسوء السمعة ، وأن تقدس القانون وحقوق الإنسان ، مع المزيد من العزم والحزم .

وماذا يُطلب من مصر الغنية ؟

عليها أن تصحو من غيبوبة الأنانية ، وسكرة اللحظة الراهنة ، وأن يؤدي أبنائها للدولة حقوقها ، ويستثمروا فائض أموالهم في الخطّة ، فذلك دفاعاً عن أنفسهم قبل أن يكون دفاعاً عن الوطن .

وماذا يطلب من مصر الفقيرة ؟

لقد تحملت فوق ما يتحمل البشر ، فلم يَبْقَ إلّا أن تشحذ وعيها لتعرف طريقها ، وأن تكرر الحكمة التي تعلمتها من تاريخها الطويل ، وهي : أنَّ المحنة لا تقضى على الإنسان ، ولكنها تكشف عن جوهره فَيَسْلُ إرادته ليتحدى التحديات .

(١٩٨٧ / ٩ / ١٠)

وحدة الأساس

أعلنت العلاقات الرسمية بين مصر وبلاد عربية كثيرة ، وقد اعترفت رسمياً بروابط حميمة لم تنقطع يوماً على مستوى الواقع . أمّا مغزاها فذو تأثير مبین ، وذو صدی طیب فی نفوس ملايين تعتبر شعوبها أمة واحدة ، وعلينا نحن أن نجعل منها حقيقة موضوعية ، ومنطلقاً لحياة جديدة طيبة ، ولكن قبل الخطو علينا أن نرسم خريطة بالحدود والإمكانات ، نقرأ فيها بوضوح ماهو الممكن وماهو المستحيل ، وماهو المتاح وماهو غير المتاح ، لنعرف مواقع الأقدام على ضوء الوضع الواقع والسياسة العالمية ، ويهdy من دروس التاريخ القريبة والبعيدة .

وأول ما نبدأ به هو أن نتصدى للمشكلات الراهنة والأخطار المحدقة بها يحقق في النهاية السلام الدائم العادل للمنطقة كلها . وأمتنا أشد ما تكون حاجة إلى السلام والاستقرار لتركز قواها في بناء وحدتها الاقتصادية والثقافية ، وهى وحدة تعود على جميع الأطراف بالخير والتقدم ، وتضعها في موقف موحد حيال التحديات الغليظة ، مثل رفع مستوى المعيشة ، والاندماج في العصر العلمى ، والتحصن بقوة دفاع تحقق لها وزناً وكرامة وأى نجاح نُحرزه في هذا المضمار جدير بأن يدعو المترددين إلى تجاوز الخلافات ، وتغيير النظرة إلى الحاضر والمستقبل .

والتوفيق في إقامة الوحدة الاقتصادية الثقافية يمهد الطريق لما هو أخطر وأهم ، بدون تعرض لمشكلات داخلية أو خارجية ، بخلاف البدء بالتطلعات السياسية الذي يتعثر عادة - كما عَلَّمَنَا الماضي - في غمار المؤامرات الداخلية والخارجية . وما ينبغي أن ننسى أن تلك التطلعات قد أُجهضت ، وما أكثر الدروس والمحاذير . ولكن حمداً لله ، فإن خُطَّتْنَا في هذا العهد الرابع من ثورة يولية تتسم بالحكمة واليقظة ، وتحلو من الانفعالات والاندفاعات ، فلنأمل خيراً ، ولنعمل بغير تَوَانٍ ، ولنتوكل على الله .

(١٩٨٧/١٢/٣)

دم الثوار

ثار الفلسطينيون بالأرض المحتلة ، ثاروا على قوى الفناء التي تتهددهم وتزحف عليهم تبغى طردهم من وطنهم ، أو خنوعهم من الوجود . تحذوا ومازالوا يتحدون الطغيان المسلح بغضبهم الشريفة الأعرل من السلاح . لهم في السابقين من المتحررين قدوة ممن ثاروا بغير سلاح ، فانتصروا بالصبر والمعاناة والإصرار ، وقوة الحق التي لا يُعْلَى عليها . فليكن أيضاً للإسرائيليين عظة في الطغاة من المستعمرين الذين غرّتهم قوتهم ثم انهزموا أمام قوة الحق والعدل . كم أملنا يوم عقدنا الصلح مع إسرائيل أن يكون فرقاناً بين عهد وعهد ، بين تفكير وتفكير ، بين أسود وأبيض ، وأن يكون حجر الأساس في صرح سلام شامل عادل يغير من حاضر المنطقة ومستقبلها . وسرعان ما انصبت علينا نخبات الأمل في سلسلة من الاستفزازات العدوانية ، بدءاً من ضرب المفاعل الذري العراقي ، ومروراً بالهجوم على لبنان ، وأخيراً بالتصدي للمناضلين العزل ضرباً وقتلاً واعتقالاً ونفيّاً .

لقد اهتز ضمير العالم يوماً للاضطهاد الذي حاق بكم أيها الإسرائيليون ، وغالى في إنصافكم بخلق وطن لكم ، ولكن على حساب أهله الذين شردوا في الأرض ، وقد أذيتكم هذا الضمير العالمي بفعالكم وأصمستم أذانكم عن تلبية ندائه بالرجوع إلى شيء من الحق . كان أوهن

بكم أن تلبوا نداء الحق بدون دعوة ، إلاَّ دعوة ضمايركم التي عانت
الاضطهاد والظلم ، وكابدت الطغاة والظالمين . كيف تتطلعون إلى
الاستعمار بعد أن تحول عنه رجاله ؟ وكيف لم توفوا بما وعدتم به بأن
تكونوا أمة عدل وحرية وأخلاق ؟ .

إنها مأساة بكل معنى الكلمة ، بالنسبة للواقع الدامي ، وبالنسبة
للذين مَنَّوا أنفسهم بالسلام العادل الشامل . وبرغم كل شيء فنحن لا
نريد أن نفقد الأمل ، وننتظر بين ساعة وأخرى أن يعلو صوت الحق ،
وأن تنتصر مشيئة الخير .

(١٩٨٨ / ١ / ٢١)

الحرب

حامت أحلام صباينا وشبابنا حول الاستقلال والديمقراطية والنهضة بصفة عامة ، أمّا الحرب فلم تخطر لنا على بال ، أو تجرى لنا في خاطر ، كأنها قَدَرٌ لايجوز علينا . من عجب بعد ذلك أننى شهدتُ وطنى يخوض حروباً متلاحقة لم يتهاى لفرد في جيل واحد أن يشهد نظيرها في كثرتها . شهدتُ حرب ١٩٤٨ ، و١٩٥٦ ، و١٩٦٧ ، و١٩٧٣ ، بالإضافة إلى حرب اليمن . كما كابدتُ عواقبها الوخيمة مع الملايين فيما أهلكت من أنفس وأموال ، وخربت من هياكل أساسية وزراعية وصناعية ، وفيما جَرَّتْ على المواطن من انحلالٍ وفسادٍ وتسبب ، وتحلل من التقاليد العريقة والسلوكيات الحميدة ، بل إننا مازلنا نعيش بصورة مّا في جو الحرب ، فمننا من يتطوع للقتال مع العراق الشقيق ، ومننا من تراوده أفكار عن الاشتراك في حرب الخليج ، وكأنهم يرددون مع القائل : « وَذَاوِنِي بِالَّتِي كَانَتْ هِيَ الدَّاءُ » .

والحرب كريمة ، ولكن قد تُفَرِّضُ علينا فرضاً في حال الدفاع عن النفس ، فهذه حرب مقدسة ، يخوضها الإنسان حتى لو لم يكن مستعداً لها ، أو كُفِّئاً للعدو المهاجم . وقد تقتضى ظروف مُلحة قاسية أن نخوض حرباً في غير دفاع مباشر عن وطننا ، ولكن في تلك الحال لا بد من توافر شروط ضرورية :

أولاً : أن يكون الهدف من الحرب واضحاً ، وفقنناً للجندى والمواطن ، بحيث تهون عليهما التضحية مهما غلت .

ثانياً : أن يكون لنا جيش قوى قادر على تحقيق النصر ، وتحمل أهوالها حتى لو طال زمنها عما قُدِّر لها .

ثالثاً : أن يكون الوطن مؤهلاً للحرب من جميع النواحي الاقتصادية والنفسية والاجتماعية .

الحرب، ليست فروسية ولا عاطفية ، ولكنها مسئولية تاريخية ، ومصير قد يتقرر لمئات السنين أو إلى الأبد .

(١٩٨٨ / ٣ / ١٠)

الهوية والهدف

كثيرًا ما يتساءلون : مَنْ نحن ؟ يقولون : علينا أن نعرف هويتنا لنحدد هدفنا ، لكن الواقع هو الذى يحدد الهدف . هدفنا فى الحياة فى زمنٍ ما ينبثق من واقعنا لا هويتنا ، لذلك قد تنشب حرب بين دولتين من هوية واحدة ، أو يقوم تآلف بين دول من هويات متعددة . بل إن الهدف إذا انضح واجتمعت حوله القلوب جاز له أن يختار الهوية المناسبة كعامل مساعد على تثبيت ذاته ، وترسيخها فى النفوس ، ونحن لنا هويات متعددة ، وجميعها صادقة ، فنحن مصريون ، ونحن عرب ، ونحن من حوض البحر المتوسط ، وأخيرًا وليس آخرًا ، فنحن ناس من صُلب آدم وحواء .

فى عام ١٩١٩ أعلننا الكفاح لتحقيق الاستقلال ، فنادى سعد زغلول بهويتنا المصرية كصيغة يمكن أن تجمعنا فى النضال . وفى الثلاثينيات اشتد تطلعنا إلى الحضارة الغربية فأعلن طه حسين انتماءنا إلى حوض البحر المتوسط .

وفى عام ١٩٥٢ حاقّت الأخطار بالأمة العربية من كل جانب ، فدعا جمال عبد الناصر إلى القومية العربية . وفى السبعينيات وجد السادات أننا غرقنا فى مأزق وجَل لا تتشَلنا منه إلا مصريتنا ، فأرجعنا إليها ،

وَحَرَّكَ نَعْرَتَهَا فِي الْقُلُوبِ ، فَكَانَ الْعُبُورُ وَتَحْرِيرُ سَيِّئَاءِ وَالسَّلَام . وَلَعَلَّ
 هَدَفُنَا الْيَوْمَ هُوَ التَّنْمِيَةُ الشَّامِلَةُ ، أَوْ بَذَلُ الْجُهْدِ لِلْحَاقِ بِالعَصْرِ
 الْحَدِيثِ ، وَهُوَ هَدَفٌ حَيَوِيٌّ لَا بَدِيلَ لَهُ إِلَّا التَّحَلُّلُ وَالْفَنَاءُ ، وَيَقْتَضِي
 ضَمْنَ مَا يَقْتَضِي الْإِسْتِقْرَارَ وَالسَّلَامَ . وَلَنْ يَنْتَهِيَ لَنَا ذَلِكَ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهِ
 إِلَّا فِي نِطاقِ تَكَامُلِ اقْتِصَادِي ثِقَافِي عَرَبِي . مِنْ هُنَا وَجِبَ تَجْمِيعُ الْعَرَبِ
 فِي وَحْدَةٍ رُوحِيَّةٍ مَادِيَّةٍ رَاسِخَةٍ ، لِنَسْتَعِينُ بِتَجْمِيعِنَا عَلَى تَحْقِيقِ السَّلَامِ
 الْعَادِلِ فِي شَرْقِنَا الدَّامِي الْمَمْزُوقِ ، ثُمَّ السَّيْرِ الثَّابِتِ بِكُلِّ مَا فِيْنَا مِنْ أَصَالَةٍ
 إِلَى الْعَصْرِ الْحَدِيثِ .

(١٩٨٨ / ٣ / ١٧)

التكريم المنسى

في أعقاب إعلان الجائزة تليقيت مكاملة تليفونية خارجية من أخ عربي يسألني فيها عن شعوري بعد أن كَرَّمَنِي العالم ولم تكرمني أمتي !

وقد عجبت لذلك أشد العجب ، فمهما تكن البداية - وهى لايمكن أن تخلو من صعوبات وعوائق - فقد تليقيت بعد ذلك من التكريم ما يُرضى القلب ، وينعش الهممة ، ويعين على مواجهة الشدائد . مُنِحْتُ جميع الجوائز الأدبية ، مثل جائزة الست قوت القلوب الدمرداشية ، وجائزة المجمع اللغوى ، وجائزة وزارة المعارف ، وجائزة الدولة السابقة ، وجائزة الدولة التقديرية ، وأكثر من جائزة للسينما والتلفزيون . وأهدى إلى وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى ، ووسام الجمهورية من الطبقة الأولى ، وترجمت الإذاعة المسموعة والمرئية الكثير من أعمالي ، ودعنتى للحوار لدى كل مناسبة ، وكان الاعتذار يجرى أحياناً من ناحيتى صوتاً لعينى الضعيفتين ، ولنفورى الطبيعى من الحياة العامة . وأهم من ذلك كله ماحظيت به من إقبال الجمهور ، حتى مع قرار المقاطعة ، واهتمام النقاد والمفكرين ، وما تجشموه من جهد فى مؤلفاتى وتحليلها ، وجاء تكريم السيد رئيس الجمهورية تنويجاً لكل تكريم سابق (وإعفاء إن شاء الله تعالى من كل تكريم لاحق) ، ففاق بكرمه الحلم والخيال .

فكيف يُقال بعد ذلك إنَّ أُمِّي لم تكرمني ؟ . . ومن عجب أن نسيان
الفضل قد يجيء من جاحِدٍ ، والدنيا لا تخلو من جاحدين ، أما هذه
المرَّة فإن النسيان يجيء من أصحاب الفضل أو مَن نَحِيه ، فكيف حدث
ذلك ؟

وإذن فقد نلثُ من أُمِّي التَّكْرِيمَ الشَّامِلَ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يُذَكَّرَ مَعَ
الْحَمْدِ وَالشُّكْرِ فِي كُلِّ حِينٍ .

(١٩٨٨ / ٩ / ١)

كنز للزمن الطويل

من الأحداث المبهرة للأبصار ، والمثيرة للإعجاب والإكبار ، ما أعلنته الفطرة العربية من صلابة وقوة وعزم وصبر وإيمان ، في الحرب العراقية والثورة الفلسطينية . خاض الشعب العراقي حرباً ضروساً طويلة جاوزت ثمانية أعوام عدداً ، يناضل بشجاعة وإصرار ، ويقدم الشهداء فريقاً بعد فريق ، ويتعرض للصواريخ والقنابل ، فتُخلى مُدُنٌ من سكانها ، وتعيش مدن تحت رحمة الموت ليلاً ونهاراً ، وتنحني الهامات تحت وطأة طوارئء حال الحرب وما تفرضه على المواطن من التزامات وانضباطات وتكشف وتنازلات . حقاً ، إنها لصلابة جديرة بكل فخر وثناء ، وذُخْرٌ يُدْخَرُ لمستقبلٍ باهر !

أما الثورة الفلسطينية فقد استمرت عاماً ، واستقبلت عاماً جديداً ، لا تهن ولا تتوقف ولا تتراجع ، ولا تبالي بالوحشية والعذاب والحدق الأعمى . وقد عهدنا الثورات تحسب أعمارها بالأشهر ، ولا تتواصل المقاومة الفعالة إلا إذا تهيأ لها من ظروف الطبيعة حصون كالجبال والغابات ، أما الثورة الفلسطينية فلا حصون لها تحتوى بها إلا إيمانها بحقها المقدس ، وبسالتها الفائقة ، وبطولتها الخارقة النبيلة ، حقاً إنها لصلابة جديرة بكل فخر وثناء ، وذُخْرٌ يُدْخَرُ لمستقبلٍ باهر .

ونحن لا نحب الحروب إلا أن تكون دفاعاً عن النفس ، ولا ندعو
للثورات إلا أن تكون تطلعاً للتحرير والحرية والكرامة ، ولكن يسعدنا
ولاشك أن تكشف الحوادث في طبيعة شعبنا العريق عن عناصر قوة
لابد أن تتحول مع الموجة الصاعدة إلى البناء والتعمير ، والإبداع
والخضارة في ظل السلام العادل . ترى هل آن ليلنا الطويل أن يسفر
عن فجر مضى ؟

(١٩٨٩ / ١ / ٣٦)

نحو التكامل والحضارة

من إنجازاتنا القومية الرائعة الاتفاقية الاقتصادية بين مصر والأردن والعراق واليمن الشبالية ، وعندما تُحقق أهدافها سيضمها التاريخ إلى سجل انتصاراتنا التي نعتز بها ، مثل تحرير سيناء ، والعودة إلى الديمقراطية ، أرجو أن تكون الخطوة الأولى في طريق التكامل الاقتصادي العربي ، أو الأساس المتين للبعث التنموي العربي الحديث . ومن المعروف أن قوانين الجامعة العربية تحوى مبادئ نهضتها وتقدمها ، ولكن الشئون السياسية استأثرت بالاهتمام ، ولما نشبت الخلافات أصبحت من دواعى التمزق والتفرق ، وصار مجرد الإشارة إلى الهموم الحضارية مثارا للتهكم والسخرية ، وتناسينا في حومة الغضب أن عدونا الأول هو التخلف في سباق العصر .

والبدء بالتعاون الاقتصادي بين الدول الأربع يدل دلالة قاطعة على أن التأجيل - انتظارا للتكامل الكامل - لم يعد محتملاً ، وأن البدء بالجزء خير من انتظارٍ قد يطول ، وسيكون نجاحه دعوة عملية مفتوحة لكل متردد أو غافل . وهو أيضاً دليل على اليقظة وإن جاء متأخراً ، لأهمية القاعدة الاقتصادية ، وقيمة الحضارة في زمن أصبح يُقاس تقدم الإنسان فيه بقيمة تحضُّره وعطائه ومشاركته في النمو الإنساني العام .

بل إنه زمن التجمعات والتكتلات الحضارية بديلاً عن التجمعات والتكتلات السياسية والعسكرية التي عُرِفَ بها التعامل بين الدول في الماضي القريب والبعيد ، وهي تكتلات تقتضى شروطاً أكثر من مجرد القوة وحدها ، تقتضى تفوقاً في العالم والإنتاج ، وتوسعاً في الثقافة واحترام حقوق الإنسان . حقاً إنَّ كل دولة عربية تمارس تنمية إقليمية بدرجات متفاوتة من النجاح ، ولكن التعاون يفتح لها آفاقاً جديدة للعمل ، وحلولاً جديدة للمشكلات ، ويمدها بقوة متجددة على المستويين المعنوي والمادي . أتمنى أن أرى مع كل طلوع شمس نوراً حضارياً مقبلاً .

(٩ / ٣ / ١٩٨٩)

الوحدة الثقافية

مهما تفرق العرب أو اختلفوا فثمة وحدة بينهم لا تغيب ، هي الثقافة . . قد تتعرض علاقاتها للضعف ، أو التوقف المؤقت ، أو المقاطعة ، ولكنها لا تغيب مطلقاً ، وتظل مطلباً روحياً مُلِحاً ، يقيم لنفسه دولة فوق الدول ، وصداقة بين العداوات ، وملتقى بريئاً طاهرًا تضحك فيه الشعوب من نزوات حكوماتها . من أجل ذلك حافظت على درجات متفاوتة من التواصل والتفاعل ، حتى في عهود الاستعمار والشقاق والمنافسات الحرقاء ، ثم هيمنت قوتها مخترقة السدود بفضل وسائل الإعلام الحديثة . ولكن آن لنا ألا نترك سريانها للرحلات والمعارض والمهرجانات والتهريب . لابد من إعداد وتنظيم ، وتحويل الاقتراحات المكسدة في سجلات الجامعة العربية إلى حقائق فكرية وسلوكية .

نحن على أبواب ثورة تربوية للانتقال من عصر إلى عصر ، وتعد عقولنا وتقاليدنا لمستقبل جديد حافل بالصعوبات والمغامرات ، فعلينا أن نتبادل الخبرات والآراء لنهتدى إلى أسس جديدة لبعث العقول والأرواح ، وعلينا أن نتفق على سياسة طويلة للتبادل الثقافي ، والتعاون المثمر في مجال الإذاعة المسموعة والمرئية ، ومثل ذلك في الأهمية أن يعقد مؤتمر من وزراء الثقافة والاقتصاد لإزالة العوائق التي تعترض تدفق الكتاب في السوق العربية ، ولتحمى الفكر من المزورين وقطاع الطرق .

بل لعله قد آن الأوان لإنشاء شركة توزيع على المستوى العربى لتتيح
للكتاب والأشرطة الوصول إلى كل مكان يُقْرَأ ويُسمع أو يُرى . وأضيف
إلى ذلك اقتراحاً بإنشاء مؤسسة على المستوى العربى للترجمة من وإلى
العربية ، منتفعة بكل الوسائل الحديثة لخلق نهضة تربطنا بركاب العالم
المنطلق بسرعة الصاروخ .

الوحدة الثقافية بالإضافة إلى الوحدة الاقتصادية هما ممّا نُنادى به منذ
سنوات . وهما الأساس المكين لبعث هذه المنطقة من جديد لتمارس
دورها الحضارى المأمول .

(١٦ / ٣ / ١٩٨٩)

دار الحكمة

على جامعة الدول العربية أن تعيد النظر في نشاطها على ضوء العصر، لا أبغى من وراء ذلك تغييراً في رسالتها التقليدية ، أو تعديلاً إضافياً في ميثاقها ، ولكن لتتصدى بكل همة لاقتحام التحديات ، وحل المشكلات ، ومحو الخلافات ، وتوثيق التعاون والتآخي والسلام . وعليها أن تبذل نشاطاً مضاعفاً فيما يتعلق بحاضر حضارتنا ومستقبلها :

١ - عليها أن تنسق بين دولها فيما يحقق ثورة شاملة في التربية والتعليم ، وإعادة خَلْق العقل العربى ليواجه المستقبل بجدارة إنسانية لائقة .

٢ - عليها أن تقترح خطة ثقافية عامة لتعريف الفرد بذاته وعصره ، وإعادة الروح إلى وعيه ، متعاونة في ذلك مع مراكز التعليم والإعلام .

٣ - عليها أن تقترح التشريعات الواجبة لحفظ حقوق الفكر والإبداع ، وإيجاد السوق المشتركة للكتاب العربى ، والقضاء على المزورين واللمصوص .

٤ - عليها أن تعيد النظر في الخطة المتكاملة للاقتصاد العربى ، مستهدفة الاعتماد على الذات ، وتوفير الغذاء ، وتشغيل الأجيال الجديدة .

٥ - عليها أن تعمل على إقامة جهاز ضخّم للبحث العلمى ، وتوفير له احتياجاته من المال والنظام والكوادر البشرية .
هذه إشارة إلى تَوَجُّه ضرورى غير قابل للتأجيل ، يجعل من الجامعة العربية مركز إشعاع للعلم والثقافة والرخاء ، ودار الحكمة التى ينتمى إليها كل عربى متطلع إلى الحينة والنور ..

(١٩٨٩ / ٧ / ٦)

النجوى بين الأشقاء

لا يملك أى نظام للحكم قوى سحرية لحل المشكلات وتحقيق العدل والتقدم والرخاء . العبرة فى النهاية بالرجال ، والكفاءة والنزاهة والاستنارة ، ولايعنى ذلك أن جميع الأنظمة تتساوى كإمكانيات مطروحة للعمل والاختيار . . ستظل الديمقراطية متفوقة بها تهيئه من حرية وكرامة ورقابة واحترام لحقوق الإنسان ، وربما يحظى فيها الفرد والشعب من المشاركة فى العمل ، والتعاون فى حمل المسؤولية . فلا وجه لأن نعتبر الحكم العسكرى السودانى هزيمة للديمقراطية ، فكم من حكم عسكرى قد مُنِنَ بالفشل ، وكم من حكم شمولى قد أودى ببلاده إلى الخراب والوحشية .

وكان المأمول أن ينجح الحكم الديمقراطى السودانى ليهدى إلى العرب مثلاً طيباً فى الممارسة ، كما أهدى إليهم مثلاً كريماً بثورته على الظلم والاستبداد ، ولكن ساءت الأحوال برغم أنه تهاها أطيّب مناخ صحى للعمل . غلب الفساد والعجز والحزبية العمياء والقبلية ، وتدهورت الأمور فى الداخل والخارج . وما نملك اليوم إلا أن نتمنى للحكام الجدد التوفيق والفلاح حتى لا يُهدر زمنٌ آخر من عمر السودان

الغالى . كما نرجو لهم النجاة من مزالق حُكم الفرد ، وأن يعتبروا أنفسهم
حقاً فرقة إنقاذ تستهدف العلاج الحاسم لكل داء مستفحل كي تُسَلِّمَ
الأمر في النهاية إلى الشعب صاحب الحق الشرعى الأول فى حكم نفسه .

(١٩٨٩ / ٧ / ١٢)

٦ أكتوبر

عيد البعث والسلام . كان نصرًا ، ولكنه لم يكن نصرًا على عَدُوٍّ بقدر ما كان نصرًا على اليأس والكآبة والعبث والعدمية . انبعثت فيه الروح العربية متألقة متفتحة كما عهدتها التاريخ في الزمان الأول ، فتوجهت من منطلق تخطيط حكيم نحو واقعية رصينة تتصدى للمشاكل وتنشد السلام . . وقد اعتمدت تلك الوثبة التاريخية الكبرى على أساسين لا غنى عنهما معًا لأي وثبة حقيقية في شعبنا ، هما : الإيمان والعلم . إيمان بالله تَحْطِي بنا عقبات مادية ونفسية عنيدة ، وبَارَكْ حُطَى جنودنا في ميادين القتال ومواجهة الموت ، وتنظيم دقيق ، وتدريب رائع ، واستيعاب كامل لأحداث وسائل القتال وأشدّها تعقيدًا واقتضاءً للمهارة والدكاء . وهكذا تمّيا لنا في لحظة تاريخية قيادة جمعت بين الحكمة والشجاعة والوطنية ، وجنود تَحَلَّوْا بالإيمان والبسالة والفدائية ، فانتشلوا مصر من مستنقع العار والهزيمة والقنوط ، وأنزلوها بدار العزة والكرامة ، وفتحوا لها أبواب السلام والاستقرار والحضارة .

كان ذلك جديرًا بأن يمهد للوطن سبيلاً لنهضة شاملة ، روحية ومادية ، وكم فرح المخلصون واستبشروا خيرًا ، فأمنوا بأن ليل الأحزان سيسفر عن صُبح مشرق بهيج . ولكن الانتهازيين أثبتوا أنهم أشد وطأة وقسوة على هذا الوطن من أعْدَى أعدائه . تربصوا كالغربان ، ثم

انْقَضُوا من منافذ الانفتاح ، هازئين بتضحيات الشهداء ، وثكل
 الأمهات ، يجمعون المال الحرام ويهربونه ويعيثون في الأرض الفساد ،
 حتى أغرقوا البلاد في الديون والمخدرات والانحلال والتطرف والعنف .
 تذكر يوم السادس من أكتوبر وقُلْ : إِنَّا سَنُصْفِي الْأَوْغَادَ كَمَا صَفَّيْنَا
 يوم الخامس من يونية ، وسنطهر البلاد من السم والأنانية والجشع .
 حسبنا أن نتمسك بالأساسين اللذين قام عليهما النصر ، وأى نصر ،
 وهما : الإيمان والعلم .

(١٩٨٩ / ١٠ / ٥)

فى الطرىق الذهبى

لىكن أكتوبر شهر الذكرىات الظافرة ، وكما أشدنا بنصر السادس من أكتوبر فى ميدان الحرب والسلام نُشيدُ اليوم بنصر ثانٍ فى ميدان يعتبر فى عصرنا أخطر ميدانٍ للسَّبْقِ الحضارى ، ألا وهو العلم . نُشيدُ بما نُشيرُ فى صفحة الأهرام العلمية من اختيار العالم المصرى المهاجر لطفى بسطا - ضمن أربعة علماء على مستوى أمريكا - لينخرط فى سلك ٢٥ شخصية بارزة من القيادات السياسية والإعلامية والاقتصادية . وهو معدود من مستشارى الرئيس الأمريكى ، لنشاطه كأستاذ ورئيس قسم أمراض القلب بجامعة أوكلاهوما .

وفى فرنسا قرر المؤتمر الأوروبى الحادى عشر لأمراض القلب قبول بحثين هامين من عالمن مصريين بطب القاهرة ، هما الدكتور يحيى سعد ، والدكتور محسن إبراهيم .

ومن ألمانيا الغربية وجهت الأكاديمية الأوروبية للمناعة والحساسية فى مؤتمرها الدولى الرابع عشر الدعوة إلى العالم المصرى سمير خضر ، ود. منير المهيرى ليقوما بأبحاثهما المتخصصة .

وفى بريطانيا قام العالم المصرى د. أبو بكر فراج بإجراء بحوث على مرضى العظام أثارَت أشد الاهتمام فى مجال اختصاصها .

تلك انتصارات علمية ، وهى ليست الأولى من نوعها ، وهى مقدمات لعصر من النور والابتكار والاكتشاف نرجو أن تتوالى أنباؤه من القاهرة والعواصم العربية ، كما تهل علينا من الخارج مُكَلَّلَةً بِالْعِزَّةِ والتفوق .

والبحث العلمى لا يعرف الحدود ، ولا يطبق القيود ، وينزع دائماً نحو الإنسانية الشاملة ، ولكن الظروف الحرجة التى يمر بها العالم الثالث توجب التركيز على مشكلاته الإنتاجية والعمرانية ، فلا بأس أن نركز البحث على حل ما يعترض نهضتنا من عقبات ، وأن يسهم بكل قوته فى التنمية الشاملة . كان يجب أن نكون المركز الأول لتخريج الباحثين فى الزراعة والرى وغزو الصحراء ، وأمراضنا المستوطنة ، ولكن حسبنا الآن أن البحث العلمى أصبح يُعَدُّ فى مقدمة همومنا الذهنية ، وأهدافنا الحضارية ، وموضع الرعاية والعناية .

(١٩٨٩/١٠/١٢)

نوبل ١٩٨٩

فاز السنيور كاميلو خوسيه ثيلا بجائزة نوبل هذا العام . تقول وكالة الأنباء الأسبانية : إنه ولد في مدينة « إيريا فلافيا » في ١١ / ٥ / ١٩١٦ من أب أسباني وأم إنجليزية . وقد ظل معظم حياته محترفاً للعسكرية ، ومصارعاً للثيران ورساماً وممثلاً سينمائياً . وفي مطلع شبابه التحق بكلية الطب ، ودرس الفلسفة ، والحقوق ، ولكنه لم يستكمل دراسته بسبب وقوع الحرب الأهلية ، وهوى منذ صغره الدراسات الأدبية ، وخاض تجارب في الشعر والقصة والمسرح ، وكانت أولى قصصه عائلة بسكو يلدوارات ، وتعد في مقدمة الأعمال الروائية الأسبانية ، وترجمت إلى عشرين لغة . وامتاز بنشاطه الواسع في إلقاء المحاضرات في جامعات أوروبا وأمريكا ، كما اشتغل بالتدريس في جامعات كثيرة ، وحظى بعضوية جمعيات علمية وأدبية متعددة .

وواجب علينا أن ننوه في هذا المقال باهتمام أسبانيا بالأدب العربي ، وإقبالها على ترجمة العديد من آثاره منذ ربع قرن ، وزيادة نشاطها في هذا المجال بعد حصول مصر على جائزة نوبل في العام الماضي .

وأقل ما يُنتظر منا لقاء ذلك أن تهتم مراكزنا الإعلامية والأدبية بالأديب الفائز ، وأن تجري معه لقاءات تعريفية ، وأن يقدم المختصون دراسات عن أدبه ، بل يجب أن تُترجم أعماله إلى العربية ، كما ترجمت إلى

عشرين لغة من قبل . وهذا الكلام يُوجَّه أول ما يُوجَّه إلى الدكتور سمير سرحان ، ليضيف إلى خدماته المتواصلة للكتاب خدمة جديدة تجمع بين الفن والوفاء .

ذلك ما كان ينبغي لنا الاهتمام به حيال جميع الفائزين بجائزة نوبل ، وغيرهم من الفائزين بالجوائز الإقليمية الهامة في فرنسا وإنجلترا والولايات المتحدة ، ولو فعلنا ذلك لكان لنا اليوم مكتبة من الآثار الأدبية الرفيعة تُقدم لشبابنا الاستنارة والمتعة ، وتحفز المبدعين في إبداعهم وجلاء أصالتهم . ولن يخيب رجاؤنا عند حاملي أمانة الثقافة .

(٩ / ١١ / ١٩٨٩)

زوبعة في فنجان العرب

ما هذا الذى يحدث فوق أرض العرب ؟ مرة نسمع من بعض العائدين من العمل في البلاد العربية الشقيقة عَمَّا يُلاقونه أحياناً من سوء في المعاملة ، ورداءة في المشاعر ، ومرة يباغتنا عنفٌ غير متوقع ، كما جرى في الجزائر ومصر في أثناء المباراة الكروية ، وأخيراً رُوِّعْنَا بعجث المصريين نُحْمَلُ إلينا من العراق بالعشرات والمئات .

ويتأمل المتأمل ، يتذكر الأمل المتجدد في التعاون والتكامل والإخوة ، فتأخذ رعدة : هل نحلم أحلام يقظة لا تركز على أساس من الواقع ؟ !

هل نبني قصوراً من الرمال على شفا جُرفٍ هارٍ ؟

الحق في نظري أنه لا يجوز أن نتهاون ، كما لا يحق لنا أن نُغَالِي . . لا يجوز أن نتهاون في الأخطاء ، سواء صدرت عن إهمال في الداخل أو تجاوزات في الخارج ، حِفَاطًا على الكرامة ، وحفاظة على أرواح أبنائنا ، بل ودفاعاً عن المصالح العربية العليا .

ولا يحق لنا أن نغالي فنجاوز القصد ، أو نهز أركان سياستنا العامة ، أو نحيد عن أهدافنا الثابتة .

ومن الخير والعقل أن نقيم علاقاتنا مع إخواننا على أرض الواقع ،

بعيداً عن المثاليات الشاعرية ، أرض الواقع بما يحمل من متناقضات ونقائص وسلبيات لا تخلو منها طبيعة بشرية . عندما تقضى المصالح العليا وإرادة الحياة الواعية بالتوجُّه نحو التكامل والتعاون والإخوة ، فعلياً جميعاً - كمعرب - أن نتوجه نحو تلك الحياة المنشودة بدون أن نتوقع أن يُغيَّر ذلك من الطبيعة البشرية ، فنمحو بضربة واحدة من النفوس ما جُبِلَتْ عليه من أنانية ، وسوء ظن ، ومنافسة ، وجميع ما ينتج عن العمل في ميدان واحد .

وما حدث للمصريين في الخارج يحدث مثله أحياناً في مصر فيما بين الأفراد والطبقات والانتهايات من غير أن يطعن ذلك وَحْدَةَ الأمة ومصيرها العام ، بل هو ما قد يحدث بين أبناء الأسرة الواحدة من إخوة وأخوات .

إنَّ ما حدث من انحراف يجب أن نتعاون جميعاً لنقومه ، ولكن يجب أن يتم ذلك في نطاق التكامل والتعاون والإخوة .

(١٩٨٩ / ١٢ / ٧)

آمالنا في العام الجديد

ها نحن نودع عامًا ونستقبل عامًا ، وفوق الخط الفاصل بين العامين تحلو المراجعة والذكر للتأمل والاعتبار . ولسنا للأسف ممن يسجلون الأحداث حَال وقوعها ، فيعتمدون على الإحصاء والتقصي ، ولكن يبقى لهم الانطباع العفوي بما يحمل من دلالة . وما من شك في أن العام المنظوى كان عامًا كريماً ومثيراً .

فعلى المستوى العالمى شَهِدَ التقارب والتفاهم بين القِمَم ، فَبَشَّرَ بالسلام بدرجة غير مسبوقة من قبل ، كما شهد ثورة عارمة في سبيل الحرية فَجَّرَتْهَا شعوب الكُتلة التى كرسَت الحكم الشمولى وقدرته ، بل إنها انبثقت بصورة مذهلة بيد القيادة الحاكمة في رأس الكتلة ومركز قيادتها ، مؤكدة في النهاية أنه لا عدالة بلا حرية وكرامة ، فضلاً عن توجيهها نحو البناء من جديد على أسس عصرية حديثة لا يمكن تجاهلها . كذلك شهد العالم انتصارات لحقوق الإنسان تمثلت في استمرارية الانتفاضة ، وفي استقلال ناميبيا ، وفي تولى الزنوج لمراكز قيادية هامة في الولايات المتحدة . وثمة تقدم في غزو الفضاء ، واحتشاد علمى لحماية البيئة ، وتغير النظرة نحو الديون ، ووجوب إيجاد حل عادل لها لصالح الأغنياء والفقراء معاً .

وعلى المستوى المحلى يبرز التوجه العربى نحو التعاون والتكامل ، ونجاح السياسة المصرية الخارجية فى المجالات العربية والإفريقية والعالمية ، والسياسة الحكيمة التى استقر عليها رأى العربى لحل القضية الفلسطينية ، بالإضافة إلى اهتمامنا الخاص بثورة التعليم والثقافة والزراعة ، وإعادة النظر فى حياتنا الاقتصادية .

أجل ، مازال رصيدنا من السليبات وفيراً ، فما حدث فى لبنان هو ردةً إلى عصور الظلام ، كذلك الانقلاب العسكرى فى السودان الذى يسبح ضد موجة الحرية العالمية .

وأملنا فى العام الجديد أن يتم إيجابيات العام الماضى بالتأكيد على السلام وحقوق الإنسان ، والاعتراف بحق الفلسطينيين ، والتقدم فى البحث العلمى ، والدفاع عن البيئة . كما نرجو أن يشهد فى وطننا نصراً كاملاً للديمقراطية ، وحقوق الإنسان ، وسيادة القانون إلى ما نأمل من إنجازات صادقة فى المجال الاقتصادى ، والتصدى للمشكلات .
فاللهم اجعله عاماً سعيداً وفتحاً مبيناً .

(٤ / ١ / ١٩٩٠)

أمثلة يضربها العصر

شهد شهر نوفمبر من العام الماضى حدثاً مُهِمّاً فى تاريخ الولايات المتحدة ، أو قُلْ فى تاريخ البشرية . شهد السود يتزعمون عُمْدِيَّةَ نيويورك وثلاثَ مُدُنٍ أخرى ، ويفوزون بِحُكْمٍ ولاية فرجينيا . وقد فاز حاكم الولاية بعد تفوقه على مُنافِسِه الأبيض المُدَّعى العام السابق للولاية التى كانت تُعَدُّ أَحَدَ معاقل العنصرية فى الماضى ، والمؤيدة للعبودية والرق فى القرن الماضى ، وإِبَّانَ فترة الحرب الأهلية . كما حَظِيَ عُمدة نيويورك بتأييد ثلث أصوات البيض ، بالإضافة إلى أصوات السود فى أكبر المدن الأمريكية .

إنه نصر للسود ، نصر للولايات المتحدة ، نصر للبشرية ، نصر للحضارة نجد فيه بعض العزاء ، والكثير من التشجيع فى موقفنا إزاء ما يحدث فى جنوب إفريقيا وما يحدث فى لبنان بين الطوائف والعائلات ، وما يقع ليل نهار فى الأراضى المحتلة ، بين التعصب من ناحية ، وإرادة التحرر من ناحية أخرى ، بل إنه يعزينا ويشجعنا حيال ما يقع للأحرار فى كل مكان ، وما يُمارس فى السجون والمعتقلات من جرائم تردنا إلى العصور الهمجية الدامية من تاريخ البشرية .

لقد شهد هذا القرن مبادئ ولسون ، وثورات المستعمرات ،

واستقلال الشعوب ، وثورة العدالة الاجتماعية الكبرى ، وإعلان حقوق الإنسان . وعلى كل حامل أمانة بشرية في العالم أن يعي عصره ، ويرنو إلى هدف مسيرته ليتوافق معه ولا يسبح ضد تياره في عناد وغباء . ونحن لا نتجاهل الأزمات الخائفة التي تقبض على أرواحنا ، ولا نستسلم للأحلام الوردية ، ولكن علينا أن نستمد من روح عصرنا الاتجاه والقوة ، والأمل والعزم والتصميم ، وأن ننتظر إلى الغد مستشعدين بكل نصر طيب . إنها المعركة لا تتوقف ، والعقبى فيها للصامدين الصابرين .

(١٩٩٠ / ١ / ٢٥)

الأمة العربية تواجه الزمن

تلقى العالم العربى فى تاريخه الطويل تحديات شرسة ، من أوبئة ، ومجاعات ، وغزوات همجية ، واستعمار شامل لأراضيه ، واكتشافات جغرافية اقتلعت جذور اقتصاده ، وبرغم الخسائر الفادحة فى الأرواح والحضارة فقد صمد للتحديات ، واستمسك بوجوده ، وها هو ذا اليوم يمارس صحوة جديدة ، ويتقدم بين شقى العناء والأمل . وهاهى ذى التغيرات العالمية على المستويين الطبيعى والسياسى تُشكِّل فى طريقه تحديات جديدة ، عليه أن يفكر ويتدبر ليكتشف موقعه منها ، وأفضل السُّبُل للتعامل معها . أجل إنه لم يحل مشاكله الداخلية كما ينبغي له ، ولم يحسم بعض الخلافات بين بلدانه ، ولكن ثمة علامات لا تخطئها عين ، تدل على توجهه نحو الاتزان والواقعية فى متابعة ما يدور حوله ، وتَوَثُّبه نحو الإصلاح السياسى والاجتماعى ، وعزمه على القيام بدوره اللائق ضمن الأسرة البشرية .

العرب اليوم يتلاقون من خلال تكتلات تعاونية ، ويصدرون قرارات سيكون لها شأن فى التعمير والبناء والتقدم الحضارى . لم يعد الأمر يقتصر على الحُطْب وإطلاق الشعارات ، ولكن علماءهم يدرسون ويخططون ، ومُديرِيهم يُقبلون على التنفيذ بكل همّة . إنها بشائر الوحدة

الاقتصادية والثقافية والأمنية ، ولا حياة حقيقية لهذه الأمة العريقة إلا بالوحدة الاقتصادية الثقافية الأمنية .

اليوم تُرصدُ أموالٌ للاستثمار في بلاد العرب من خلال نظرة شاملة ، ومن منطلق قومي ، مستهدفة الدفاع عن النفس في المجال الحضاري الإنساني ، وترسيخ أسس نهضة شاملة تقوم على الإيمان والعلم . وقد امتدت الآمال إلى الأمة الإسلامية ، فترددت في اجتماعاتها أصوات حكيمة داعية إلى التعاون والتكامل الاقتصادي ، مما يبشر بخير أكبر ، وتقدم أعظم . واجبنا الأسمى أن نستمر . . أن نستمر بدون تردد أو وهن ، وأن نضاعف البذل والعمل ، وأن نجود بما نملك يدًا ولساناً وقلباً ، وأن نوفر للأجيال الإيمان المضيء ، والعلم الخلاق ، والثقافة الأصيلة ، والحضارة الزاهرة . علينا أن نقدم الوفاء للماضي بأن نجعل المستقبل أفضل منه ، برغم ما أُثيرَ عن الماضي من مجدٍ وذِكْرٍ جميل .

(١٩٩٠ / ٤ / ١٢)

قمة الآمال

لا يخلو وطن عربي من أزمة داخلية ، سياسية أو اقتصادية . وكما أن الحل يوجد في الداخل فإن كماله لا يتهاى إلا بالاستعانة بالخارج ، ذلك أننا نعيش زمناً اختلط فيه الداخل بالخارج ، خاصة بين أوطان تشابكت جذورها وفروعها منذ قديم ، شأن الوطن الواحد كالأوطان العربية . وفي هذه اللحظة التاريخية التي تموج بالاضطراب والنذر تتبدى القمة العربية كشعاع للأمل ، ومنازة للمستقبل .

نرجو - أول ما نرجو - أن تنقى القمة الصدور عن الانفعالات ، وأن تُشعل مصباح العقل ، فهو خير مرشد في العواصف الهوجاء .

نرجو أن تُوفَّق إلى تصفية المتبقى من الخلافات بين بعض الأشقاء ، حتى تنجلي الدول جميعاً عن أمة واحدة توجَّهها وفكرًا وسياسة .

نرجو أن تؤكد رغبتها في السلام العادل الشامل ، سلام يشمل قضايا فلسطين ، والجولان ، والنزاع العراقي الإيراني ، وأن تعرض في ذلك اقتراحاتها ، والسبيل السوي لتحقيقها .

نرجو أن تتبنى اقتراح تطهير الشرق الأوسط من أسلحة الدمار الشامل بمختلف أنواعها ، تأييدًا لدعوة السلام، وتجنباً للمنطقة مِمَّا

يهددها من خراب لايعلم مداه إلا الله ، وأن تطالب العالم بتحمل
مسئولته في هذا الشأن بالقوة والوضوح الكافيين .

نرجو أن تعلن أيضًا أن لا بديل لتطهير الشرق الأوسط من أسلحة
الدمار الشامل ، إلا السباق الطبيعي لإحرازها دفاعاً عن النفس ، لأننا
بقدر ما نتطلع إلى سلام شامل فإننا نأبى أن نعيش تحت رحمة الآخرين .

نرجو أن تؤمن القمة - وهو مالا شك فيه - بأن تماسكنا في هذه الفترة
من الزمن هو ضرورة حياة وبقاء ، وأنَّ الزمن لا يسمح بِغُصُّ الطرف عن
العواقب المترتبة بنا ، وأنَّ أى تهاون في ذلك ينذر بخاتمة تجل عن
الوصف والعزاء .

نسأل الله الهداية ونسأله التوفيق .

(١٩٩٠/٥/٢٤)

الجريمة والرسالة

في اعتقادي أنه لا يوجد تردد عن إدانة غزو الكويت لدى فرد من شعوب الأمة العربية ، حتى شعب العراق لا أستثنيه من ذلك الإجماع ، فالغزو جريمة جاهلية تقطع بأن التربية الإسلامية على مدى ما يقرب من خمسة عشر قرناً لم تكفٍ لتطهير بعض النفوس من أدران العنجهية القبليّة ، بالإضافة إلى تناقضها الصارخ مع روح العصر وتوجهه .

ولكن هناك نغمة غريبة بدأت تعزف - نتيجة لذلك - على أوتار اليأس . . اليأس من العروبة والوحدة والتعاون ، واعتبارها أضغاث أحلام ، وسجابات أوهام ، وأشباح ليل بهيم . هذه خطيئة أخرى لاتقل في ضلالها وسوء عاقبتها عن جريمة الغزو نفسها .

انظروا إلى الوحدة الأوروبية وكيف تتم في صبر وأناة ، وخطوة بعد خطوة ، بعد قرون من التمزق والأحقاد والحروب ، وملايين الضحايا من الأنفس ، وجبال من أطلال المدن والقرى !

الوحدة العربية. رسالة مستوحاة من الواقع ، تحتمها المطالب ، ويقتضيها الوجود ، ويكرسها تحقيق الذات في العالم الحديث ، وما يشترطه من تضامن في الفكر والعقول والأموال لتحقيق أهداف اليوم والغد .

لقد ارتكبت جريمة نكراء برغم إرادتنا ، وقد تُرْتَكَبُ جريمة أخرى ،
ولكننا لن نتخلى عن هدفنا الأسمى ، ولن نتهاون في تحقيقه بكل وسيلة
ومن أى سبيل ، وإن اقتصرَت البداية على نواة مؤمنة ، لا كجُلْفٍ ضد
أحد ، ولكن كدعوة مفتوحة ودائمة لكل من يلبي النداء عن صدق
وإيمان .

قد يكون الطريق طويلاً ، شائكاً ، كثير العثرات ، وقد تُكَدَّرُ جَوْهَةٌ
بين الحين والحين نعرات جاهلية ، أو نوازع جنونية ، ولكن علينا أن
نتصدى لأى انحراف بالتضامن والعقل والحكمة والحزم . علينا أن
نصحح الأخطاء ، ونضمد الجراح ، ونؤيد الحق والعدل ، ولكن لا
سبيل إلى التراجع أو اليأس أو الهزيمة .

(١٩٩٠ / ٨ / ١٦)

أمانى عربية

فى هذا الكابوس الخائق ، وبين أطلال الخسائر المادية الباهظة التى لم يسلم منها وطن عربى ، وعلى مرمى من المصائب التى نزلت بالأمين من المصريين والأجانب ، فى ذلك الظلام لا يكف العقل عن التفكير، ولا القلب عن الحسرة ، ولكن الخيال يلتقط لحظات من الراحة يهيم فيها فى وادى الأمانى ، تُرى ما هى الأمانى التى يحوم حولها الخيال ؟

١ - أن ينتصر الرئيس العراقى على جبروته الاستبدادى ويرجع ظافراً إلى الحق ، وهو رجوع أشرف من تراجعِه أمام إيران ، وفيه إنقاذ لأمته العربية ، وتاريخه الوطنى .

٢ - أن تعود الكويت إلى وجودها الشرعى ، وتسترد سيادتها وحقوقها وما تُهب من أموالها ، فتضمّد جراحها وتستأنف مسيرتها الكريمة .

٣ - أن يخرج العراق من الأزمة سلباً بغير سوء ، آمناً على سُكّانه وهياكله ومؤسساته ، فهو قوة عربية ، وعزة قومية ، ونحن نحرص على سلامته حرصنا على سلامتنا .

٤ - أن تسلم القضية الفلسطينية من الأذى ، وأن ترجع إلى احتلال بؤرة الاهتمام والرعاية فى قلوب الأمة العربية ، بوصفها قضية العرب الأولى .

حقاً إنها أمانئى كالحلم ، ولكن بتحقيقها يطمئن العالم على مصالحه ، ويلتفت العرب إلى تعويض خسائهم ، ويتجنبون مصيراً لا يعلم مدى شدته إلا الله .

إنه حلم غير مستحيل إذا استمع حاكم العراق إلى صوت العقل ، وتذكر الدروس القريبة والبعيدة ، وفكر كما ينبغي للرجال المسؤولين حقاً عن أوطانهم ، والمتطلعين إلى منزلة في التاريخ تُذكر لهم في صفحاته البيضاء .

(١٩٩٠ / ٨ / ٢٣)

الطريق العربى

ارتفع الرئيس حسنى مبارك فى غمار الأزمة العربية الراهنة إلى ذروة من الحكمة الحضارية ، خليقة حقاً بالحاكم المصرى الأصيل ، المؤيد من الله بالعقل الحكيم فى الجسم السليم ، كان خير مُعَبِّرٍ عن صوت مصر ، وحضارة مصر ، وعراقة مصر ، منذ أشرق فجر الضمير بأرضها المباركة ، وَبَيَّنَ الْخَيْرَ من الشر ، وَتَحَدَّدَ الجزء العادل فى الدنيا والآخرة .

وقد أسعدنا إصراره على السعى إلى السلام ، وتجنب الأمة العربية ويلات الحرب ، ونحن ندعو له بالتوفيق ، كما ندعو لكل مَنْ يُؤازره فى دعوته من العرب والأجانب ، ولكننا لن تسعد بالسلام إذا جاء - لا سمح الله - على حساب القيم ، لذلك يجب أن يكون هدفنا الأول هو إزالة آثار العدوان ، وعودة الكويت إلى وجودها الشرعى ودورها العربى ، ورجوع العراق إلى الحق والشرعية وسيادة القانون ، واحترام حقوق الإنسان فى ظل الجامعة العربية وهيئة الأمم .

ولعله من الصواب أن نعتز بأن الأزمة لم تكن شراً خالصاً ، فقد كشفت عن حقائق عن أشقائنا العرب كان لابد أن تُعَرَّفَ لتستقيم العلاقات بينهم فى وضوح وجلاء . . كشفت عن فلسفاتهم فى الحياة ، فإنهم وإن اتفقوا فى الغايات البعيدة من التحرر والنهضة فإنهم يختلفون

فى المنهج ، منهم من يحرص على نقاء الوسيلة والغاية ، ومنهم من يؤمن بأن الغاية تبرر الوسيلة :

فعلينا أن نتكفل مع الفريق الأول لنقيم معه الأساس الأخلاقى للعروبة ، وأن نحاول بمختلف الوسائل المشروعة تطهير الفريق الآخر من رواسب قرون مضت وانقضت إلى غير رجعة بإذن الله .

ولنتساءل بلهفة : متى نخرج من ظلمات الأزمة ؟ متى نواصل السير؟ متى نتفرغ لهدفنا الحقيقى ، وهو القيام بدور جدير بنا فى هذا العصر؟

(١٩٩٠ / ٨ / ٣٠)

حرب الرهائن

قرر الرئيس صدام حسين أن يحول الأجانب العاملين في العراق والكويت إلى رهائن يحتمى بها من الضربات التي يتوقعها ، من العبث أن نقول إنه إجراء خارج على جميع القوانين الدولية والشرائع الإنسانية ، فلما جدوى الكلام عن القانون والشرعية لدى رجل يتصرف في سياسته وكأنه في دنيا بلا قانون ولا شرائع ؟!

وليكن كيف يكون التعامل مع ذلك الموقف الشاذ ؟!

لقد ذهبت القوات الأمريكية والعربية إلى السعودية للدفاع لا للهجوم ، فلن تنشعب حرب إلا إذا غامر الرئيس العراقي بهجوم ، وعند ذلك فلا خيار لأحد ، وإذا لم يمكن إنقاذ الرهائن فسيحل بالعراق انتقام رهيب ، سَيَنْصَبُ أَوَّلُ ما ينصب على الأبرياء للأسف الشديد .

وإذا لم تقم حرب فالمقاطعة الاقتصادية كافية ، حتى وإن طال أمدها ، علماً بأن مجلس الأمن لم يقرر حتى كتابة هذه الأسطر الحصار ، وفضلاً عن أن المقاطعة يمكن ألا تشمل الغذاء والدواء لأسباب إنسانية ، وفي فترة المقاطعة قد تُحُلُّ المشكلة داخلياً استجابة لضغط الشعب العراقي الذي لا أتصور أنه راضٍ عن سياسة حاكمه ، كما أن القوات المدافعة ستجد المزيد من الوقت لاستكمال عَدَدِهَا وَعُدَّتِهَا .

إن الرئيس العراقى يفعل ما يفعل المجرمون فى السينما من تعريض
ضحاياهم لرصاص الشرطة طمعاً فى الهروب بأمان . غير أن الشرطة
عادة تصنع المستحيل كى تحقق أهدافها دون التضحية بالأبرياء .

(١٩٩٠/٩/٦)

الحرب

قرار مجلس الأمن بفرض الحصار حول العراق فيه الكفاية لتحقيق ما نريد وما يريده العالم معنا ، وهو انسحاب الجيش العراقي من الكويت ، واسترداد الكويت لوجودها الشرعى . قد تجيء النتائج بالسرعة التى نتمناها ، ولكنها ستجىء حتماً فى وقتها ، فما علينا إلا أن نستوصى بالصبر ونُحْكِمَ الحصار ، ووقت الانتظار لا يضيع عبثاً ، فهو فرصة مُتاحةٌ للساعين إلى حل المشكلة بالمبادرات والمفاوضات . . المهم عندنا أن يرجع الحق إلى أصحابه ، وأن تنتصر المبادئ ، وأن يعى الدرس كل من يفكر فى العدوان ، ويعلم فى الوقت نفسه أنه يعيش فى عالم جديد ، وأن عليه أن يعمل فى ظل مبادئه .

أما الحرب فهى شر ، وهى شريلا شروفاً ، ولن ينجو من عواقبها المباشرة وغير المباشرة وطن عربى أو غير عربى ، وستكون وطأتها أشد على العالم الثالث فتضاعف من معاناته .

يجب ألا نفكر فى الحرب إلا إذا فُرِضَتْ علينا فرضاً ، وهى لن تُفْرَضَ علينا إلا إذا غامر الرئيس العراقى بحرب جديدة . وجميع القوات التى تتجمع فى منطقة الخليج تتجمع لتنفيذ قرار مجلس الأمن أو للدفاع . والمتابع لما جرى فى مجلس الأمن لاحظ كيف ترددت بعض الدول طويلاً

قبل أن توافق على مزيد من التشدد في قرار العقوبات ، يمّا يقطع بالتالى بأنها لا ترغب فى الحرب ولا تحبذها ، والسعى إلى الحرب بدون ضرورة لا يقل فى لا إنسانيته عن الغزو الإجرامى نفسه ، أو استغلال الناس كرهائن .

وجملة القول : إننا حريصون كل الحرص على الحق والعدل والشرعية ، ولكننا لا نريد الحرب إلا إذا فُرضت علينا فرضاً .

(١٩٩٠ / ٩ / ١٠)

الحرب و السلام

من هم العرب ؟ .

إنهم عملاء الإمبريالية والصهيونية العالمية . لا أقول أنا ذلك ، ولم أقله قط ، ولكن تردده السنة العرب أو أقلامهم لدى الخلاف والشقاق . وقد يحدثونك عن مؤامرات يقع قادتهم في شباكه كأنها هم صيد سهل لكل صائد ماهر .

إنه حُكم جائر زائف ، ولا يؤيده دليل أو يقين أو وثيقة . ينطلق ويتشر بقوة الانفعال الجامح والعاطفة الهوجاء ، وفي غيبة كاملة من العقل . الحق أنَّ العرب جميعًا يتبنون أهدافًا واحدة . إنهم يحلمون بالوحدة دون دخول في تفاصيلها ، ويحلمون بصحوة شاملة يدخلون بها العصر الذي نعيشه باعتبارنا قوة قادرة على الاستيعاب والعطاء . وهم يتمنون أن تسندهم في كفاحهم أموال النفط ، لا على سبيل المعونات ، ولكن عن طريق الاستثمار الذي يعود بالخير على الجميع .

وإذن فمن أين يجيء الخلاف ؟

يجيء الخلاف عند اختيار الوسيلة المؤهلة لتحقيق هذا الحلم . منهم من يؤمن بالعنف والإرهاب والحرب ، ومنهم من يلتزم بالقانون والشرعية

والحوار العقلانى ، ويرغب فى تحقيق أحلامه تحت مظلة المواثيق العربية والقوانين الدولية .

والحق أننا لا نلقى على أيدي المؤمنين بالعنف سوى المأسى والهزائم ، أما أهل الحوار والعقل فقد حرروا سيناء ، ومهدوا السبيل لحوار شامل تُحلُّ فيه القضايا المعلقة . اليوم يقف الفريقان وجهًا لوجه ، يسعى أحدهما إلى حل عربى سلمى ، ويصرُّ الآخر على الرفض مزهوًا بقوته وحماسه .

والحق أن الحرب تطرح عواقب وخيمة ، وهيهات أن ينجو منها أحد .

(١٩٩٠ / ٩ / ١٣)

الدروس القاسية

في حياتنا تجارب قاسية ، تصلح دروساً لمن يرد أن يتعلم ، فمتى نتعلم ؟ دار آمنة يقتحمها قرار من داخلها . يقذف به أحد أبنائها في ساعة تَجَلُّ أو ساعة نحس ، لم تناقشه أو تدلى فيه برأى ، وإذا به يجرها إلى حافة الهاوية : وقد يهدم في ساعة ما شيدته في سنين بالجهد والعرق والأمل . والبلوى تكمن عادة في زعيم مُسْتَبِدٍّ يفرض ذاته بالقوة ، ويهيمن على أجهزة الإعلام حتى يتراءى لنفسه وقومه كأنه فوق البشر ، ينطق عن الوحي ، ويتصرف بالإلهام ، ولا يثوب إلى رشده إلا وهو في قاع الهاوية .

متى تبرا الأوطان العربية من ذلك الداء القاتل ؟ متى تعد بيتها للحياة في هذا العصر ؟ متى تؤمن بالحرية واحترام حقوق الإنسان ؟ والعرب كثيراً ما يبدون وحدة متماسكة تباركها الأحضان والقبلات ، على حين أن قلوبهم شتى ، وأحلامهم متنافرة ، بل منهم من يود الفتك بأخيه قبل خصمه ، من أجل ذلك يجب أن تطرح خلافاتهم في ضوء النهار ، ما تعلق منها بالحدود وما تعلق بالتاريخ . عليهم أن يعملوا على تسويتها بصفة نهائية مهما كلفهم ذلك من جهد وتضحية كي يصفوا جَوْهَهُمْ مِنْ كدر الكراهية والحقد ، وكي لا نفاجىء العالم بالإزعاج .

والضرر كل بضع سنين ، فَلْتَقَلُّ من الأحضان والقُبل ، ولنوثق علاقات الترابط والتضامن .

ولا شك أن الأزمة الراهنة كشفت حقائق مهمة ، وعَرَفَتْ كل وطن عربى بمن يتوافق معه بدون قيد أو شرط ، وبمن يميل إليه بتحفظ وبمن يختلف معه اختلافًا لا يُرجى معالجته فى الزمن القصير ، وعليه فيجب أن ننشئ مجلسًا تعاونيًا من الأوطان التى يجمعنا بها الهدف والوسيلة تحت مظلة ميثاق الجامعة العربية ، وميثاق هيئة الأمم ، لنبدأ تلك الخطوة بدون تردد ، لا كحلف ضد أحد ، ولكن كأساس تقوم عليه تنميتنا الشاملة ، واقتصادنا المتكامل ، وسوقنا المشتركة ، ووجدتنا الثقافية . سوف يكون نظامًا يدعو إلى الانضمام إليه لا بالقوة ولا بالدعاية ولكن بالعمل الصالح ، والإنجاز المفيد ، ومبادئ الحرية والإنسانية .

(٢٧ / ٩ / ١٩٩٠)

من الجانى ؟

يقولون - اعتمادًا على شواهد وأدلة - إن الولايات المتحدة علمت بالاستعداد لغزو الكويت قبل وقوعه بمدة كانت كافية للتحذير والتنبيه والحيلولة دون وقوعه ، وإنما تركت الأمور تجري في مجراها حتى وقع الغزو، فوجدت فرصة نادرة لتنفيذ سياسة جديدة هي جزء مهم في تصورها للعالم الجديد الذي يتشكل بعد الوفاق ، وهي نقل خطوط دفاعية إلى منطقة الشرق الأوسط .

قَدَّمَ الغزو لها خدمة كبرى ، فقد هدد مخزنًا مهمًا للطاقة ، وخرق مبدأ أمنياً أصبح العالم يحرص عليه بدقة بعد توجهاته الجديدة ، واتفق العرب أنفسهم مع العالم في ذلك ، فهبوا يُطالبون بانسحاب العراق ، وراحت الدول المهددة في أمنها تطلب العون من جميع الأصدقاء ، هكذا انطبقت المبادئ على المصالح ، والمصالح على المبادئ ، ووجد الغرب الفرصة لتنفيذ سياسته بدون متاعب ، بل في اتفاق تام مع أهل المنطقة ، وبدعوة من بعضهم ، في ظل قرار عالمي استهدف الدفاع عن القانون والأمن والشرعية .

وبادر أناس إلى الاتهام ، وقالوا : إن العالم لن يتغير ، ومازال وجهه القبيح على قبحه ، غاية ما في الأمر أن العدو يجيء هذه المرة في ثياب صديق ! .

مهلاً لا تلوموا دولة إذا خططت لمستقبلها بما يتفق مع تصورها لعالم جديد وغدٍ جديد ، ولكن اللوم يقع على مَنْ يسىء الفهم والتقدير ، ولا يعرف لِقَدَمِهِ قبل الخطو موضعها ، فيقدم على فعلٍ أخرق يجزُّ به نفسه وقومه إلى مأزقٍ وعمر . اللوم على المخطيء ، ولا أقول العميل أو المتآمر ، فإننى أنزه أى زعيم عن ذلك ، ولكنه الاستبداد وقصر النظر والغرور الذى يخلق من أعاجيب الأفعال ما لا يتصور حدوثه إلا مع الخيانة والتآمر .

الحكم الصالح يحتاج إلى ثقافة سياسية شاملة ، ومعلومات وفيرة وحكمة رشيدة ، وحذر محيط ، وقد يتوافر ذلك فى جو الديمقراطية والانفتاح على جميع الآراء ، أما حكم الفرد ، وبخاصة الفرد الملهم ، فيصّب دائماً فى مستنقع الكوارث . . وقد نجد أنفسنا غداً فى موقف دقيق يقتضينا جميع ما نملك من حكمة ومقدرة .

(١٩٩٠ / ١٠ / ٢٥)

الخط بين السلام والحرب

إننا من دعاة الحل السلمي لأزمة الخليج ، لا كراهية في الحرب وآثارها المدمرة فحسب ، ولا حفاظاً على شعب العراق ودوره العربى فقط ، ولكن أيضاً تحسباً لما سيعقب حل الأزمة من حوار بيننا وبين الأمم التى تصدت لإعادة الشرعية ، فلئن نجلس للحوار بعد حل سلمى نَحْزِرُ من أن نُحاور قوماً قد فقدوا عشرات الألوف من القتلى والجرحى دفاعاً عن شرعية المنطقة . فهناك بالإضافة إلى ذلك مصالح تقوم عليها حضارة ، وهناك التفكير فى نظام أمنى يمنع العواصف الدورية التى تهب من المنطقة كل بضعة سنين .

وإذا كنا من دُعاة الحل السلمي فإننا فى الوقت نفسه دُعاة الشرعية والقانون والمبادئ ، فلا نقبل بحال أى تهاون مع العدوان ، أو مساس بحق الكويت فى الوجود وحق حكومتها فى العودة ، والحق العادل فى التعويضات عن الخسائر الباغية التى حاقت بالوطن الكويتى .

نريد السلام تحت شرط أن يحمى سلاماً طاهراً من الشوائب ، مُبرأً من العيوب ، سلاماً تعتز به الكرامة لا أن تُحْزَى به ، سلاماً يفرج به الأبرياء ولا يتيه به المجرمون . ولن تضيرنا المبادرات التى تمهد الطريق وتيسره ، كأن تتيح للرئيس العراقى فرصة لحفظ ماء الوجه ، بل لن يضيرنا أن ينال

تعهدًا بتأمين وطنه إذا نُفِّذَ القرار في الحال وبلا تردد . المهم عندنا أن يسترد الشعب الكويتي جميع حقوقه المسلوبة .

وإذا خابت الخيل وفشلت المساعي وأثبت الحصار عقمه وعدم جداؤه فنحن نفضل الحرب - على بشاعتها - على الهزيمة ، هزيمة الحق والعدل والقانون والشرعية والمبادئ .

إن الإنسان قادر على إصلاح الدمار ، ولكنه لا يستطيع أن يعايش حياة خالية من القانون والمبادئ .

(١٩٩٠ / ١١ / ٢)

خطوة منشودة للسلام

قرار مجلس الأمن فيما يتعلق بغزو الكويت واضح وحاسم ، وهو يقضى بانسحاب الجيش العراقي وعودة الكويت إلى وجودها الشرعى ، وعودة حكومتها الشرعية إليها ، وتنفيذاً لذلك اتخذت قرارات بالمقاطعة ، وتساعدت في حداثها حتى انتهت بضرب خصار شامل حول العراق .

والقرارات بتلك الصورة وتلك الوسيلة قرارات عالمية ، تعبر عن موقف مجلس الأمن ورغبة أمم العالم جميعاً .

أما القتال فالقرارات لا تتضمنه ، وجميع الدول والشعوب ترفضه ولا تغيب عنها عواقبه الوخيمة ، فنستطيع القول تبعاً لذلك : إنَّ نشوب القتال - إذا لم تبدأه العراق نفسها - فسيكون تحدياً للضمير العالمى ، مثل التراجع عن القرارات السابقة . فليس أمام القوات المحتشدة فى الخليج إلا الانتظار ، وسوف تجيء الساعة المنشودة عاجلاً أو آجلاً .

ولكن يخاف البعض - ولهم الحق - أن يؤدي احتشاد الجيوش بالصورة التى هى عليها إلى اندلاع شرارة القتال بسبب أو آخر ، حتى بدون تخطيط أو تدابير ، فلماذا لا يخطو مجلس الأمن خطوة جديدة ، يفتح بها باباً جديداً للأمل دون المساس بقراراته السابقة ؟

أعتقد أنه يفعل الكثير إذا أصدر قرارًا جديدًا يتعهد فيه - فور تنفيذ قراره الأول - بطرح جميع مشكلات المنطقة للمفاوضة ، ومتابعتها حتى الحسم ، وهى تشمل :

١ - المشكلة العربية الإسرائيلية .

٢ - المشكلات العربية العربية .

٣ - إقامة نظام أمنى للمنطقة يتضمن فيما يتضمن تطهيرها من أسلحة الدمار الشامل .

لعل ذلك يقربنا من الحل ، ويستأصل الأسباب التى تدفع المنطقة إلى أن تكون مصدر إزعاج دورى لنفسها وللعالم كل بضع سنين .

(١٩٩٠ / ١١ / ٥)

صراع الخير والشر

في لحظات التاريخ المتوترة تتوثب الإرادات البشرية في عنفوانها ،
وتتعاقب الحوادث المذهلة ، وتتقرر المصائر بين الخير والشر .

يتم غزو الكويت ونهبها وتشريد أهلها .

يتكفل العالم ضد العدوان ويطالب بالعودة للقانون والشرعية .

وتنبهر قلة من العرب بالقوة فتساند العدوان ، وتقف أغليبيتهم مع
الحق والعدل والقانون .

تتعرض أوطان كثيرة لخسائر فادحة لدفاعها عن المبادئ الشرعية .

ويقدر موقفنا حق قدره ، فنتحرر من قروض باهظة ما كنا نتحرر
منها إلا بالعناء الطويل في الزمن المديد .

وتستوعب دول النفط الدرس فتهتدى - وبصورة حاسمة - إلى طريق
السلامة ، والتوجه الاقتصادي الرشيد ، والأمن القومي العربي الحقيقي
القائم على الحق والإخلاص .

ويتردد الحديث هنا وفي العالم عن المشكلات التي تهدد المنطقة
بالانفجار كل بضع سنين ، وتنعقد العزائم على حلها بما يحقق السلام

الشامل ، والعدل الشامل ، سواء ما تعلق منها بما بين العرب وإسرائيل ، أو بما بين العرب والعرب أنفسهم .

ويتردد الحديث أيضًا عن تطهير المنطقة من أسلحة الدمار الشامل تحقيقًا للأمن والأمان .

هكذا بدأت الحوادث باندلاع شرارة شريرة ، ما لبثت أن طوقتها الأفكار الرشيدة ، والنيات الطيبة ، فجعلت منها مدخلًا لحياة جديدة تعد على المدى الطويل بالخير والنماء .

ويمكن تلخيصها على المستوى العربى فى سطرين ، وهى أنها جاءت ثمرة :

١ - لتهور رئيس مستبد .

٢ - حكمة رئيس ديمقراطى .

وقد كنا نشفق من أن نرحل عن الدنيا ووطننا العربى مختنق فى كابوسه ، ولكن شاءت العناية الإلهية أن تمتد فى عمرنا حتى نرى الكابوس وهو يتلاشى ، موسعًا ليقظة مشرقة .

(٨ / ١١ / ١٩٩٠)

مقارنة بين الحلين

بمرور الأيام والأسابيع تتضح حقائق في أزمة الخليج ، وتزداد وضوحاً بالتصريحات التي يدلى بها مسئولون ، ولعلّ لا أتمجاوز الواقع إذا لخصتُ الموقف على الوجهة الآتية :

١ - الكثرة الغالبة ترغب في الحل السلمي ، أى تنفيذ قرار مجلس الأمن بدون قتال ، وترى في الحصار المفروض حول العراق الكفافية ، مع الأخذ بشيء من الصبر . إنها تحترم المبادئ وتدين العدوان ، وتحرص في الوقت نفسه على مصالحها ، ولكنها تستفزع الحرب وويلاتها ، وتريد أن تتجنب عواقبها الوخيمة على اقتصاد العالم وعلاقاته الدولية .

٢ - لكن بعض السياسات لا تقنع بالحل السلمي ولو أدى إلى تنفيذ قرار مجلس الأمن ، فهي لا تسمح للعراق بأن يحوز قوة تخل بالتوازن في المنطقة ، وما يزيد الأمر صعوبة أنها أيضاً لا ترضى عن إبادة قوة العراق إبادة شاملة فتخل بالتوازن من ناحية أخرى ، فكيف يمكن أن تحقق تلك السياسات أغراضها المتضاربة ، بمعنى أن تُنفذ قرار مجلس الأمن ، وتُجسّم قوة العراق دون إبادتها ؟

في اعتقادي أن القتال لن يحل هذه المشكلة ، فإنه إذا اندلع فلن

يتوقف إلا بالقضاء على أحد الطرفين ، والنتيجة المتوقعة في تلك الحال هي إبادة القوة العراقية ، وانتشار الدمار في المنطقة .

أما الحل السلمى فلن يَعدَم وسيلة للموازنة بين القوى في المنطقة عند البحث عن سياسة أمنية في المنطقة ، وتقدير حجم القوة الرادعة والكافية للدفاع عن الأمن والاستقرار ، وبخاصة إذا اقترن ذلك بحل مشكلات المنطقة التي تهدد بالانفجارات الدورية مثل :

١ - المشكلة الفلسطينية .

٢ - مشكلة الحدود العربية .

٣ - مشكلة حيازة أسلحة الدمار الشامل .

(١٩٩٠ / ١١ / ١٥)

دعوة إلى الجهاد الأكبر

متى يستقر العرب في عصر العقل ؟ متى يهيمنون على عواطفهم وانفعالاتهم ؟ متى يوظفون العواطف في حياتهم العامة كقوة كامنة ، على حين يُيَوَّنُون العقل مكان القيادة لعربتهم في هذا الزمن الضارى الذى لا يرحم ؟

تراهم بين اثنتين : إمَّا غَزَلٌ لا يكون إلا بين العاشقين ، أو سِبَابٌ لا يليق إلا بالأعداء المتنازعين .

وما نطالب أحداً بالتفريط في مصالحه ، ولا نصاذن رأى ذى رأىٍ مختلف ، ولكننا بلغنا درجة عالية من الاقتناع بضرورة التآلف والتعاون ، ووحدة الرؤية والهدف ، وتوجهت قلوبنا نحو طريق واحدة تقوم على التكامل الاقتصادي والثقافي والروحي ، وتستهدف بصدق وعزم اقتحام العصر لاستيعاب مكوناته ، والإسهام في معطياته ، مع طرح قيمنا الروحية الباقية ، والخالد من تراثنا المجيد ، تحقيقاً للذات على نحو جدير بأصالتنا ، وسابقة لإنجازاتنا الحضارية والإنسانية .

في ظل هذا الجو المشبع بالموَدَّةِ والأمل والطموح يجب أن نرسم سياسات للتعاون والنضال ، وعند الخلاف علينا أن نلتزم بحدود

وضوابط . إنَّ دواعي الوفاق أهمُّ وأجلُّ من أى أعراض للخلاف ،
وأَسباب التقارب أهمُّ وأجلُّ من تضارب المصالح .

وإذا طرأ خلاف جدِّي فاحتكموا إلى العقل والحوار ، وإذا لم يَكفِ
فاستعينوا بوسيط من الأشقاء ، وإذا لم يُجَدِّ فَلْيَكُنِ الاحتكام إلى الجامعة
العربية ، لا نهاية لمساعى الخير إذا توافرت الرغبة فى الخير ، وإذا تذكرنا
الآمال التى تجمعنا والأهداف الكبرى التى تلح علينا .

حَذَارٍ من الغضب الأهوج ، والكبرياء الطائشة ، والانفعال
الأعمى ، إنها دعوة إلى الجهاد الأكبر ، جهاد النفس الأَمَّارة بالسوء .

(١٩٩٠ / ١١ / ٢٢)

رحلة إلى المستقبل

ثمة أحاديث وأفكار تدور عَمَّا سَتَتُوْلُ إليه الحياة في المنطقة العربية بعد حل أزمة الخليج ، وطبعًا هذا لا يعنى أن علينا أن ننتظر حتى يهل أوان التغيير فنشرع في التفكير أو التنفيذ ، كما أنه لا يعنى أن نقنع بموقف المنتظر لما يجرى به القدر أو ترسمه مشيئة الآخرين .

علينا أن نرسم ونخطط لذلك الغد المملوء بالاحتمالات ، علينا أن نعتبر أن المهمة هي مهمتنا أولاً وأخيراً ، وأن نعمل الحساب لمختلف الملامبات والاحتمالات ومطالب العالم الجديد الذى يتكون ساعة بعد أخرى في عصر الوفاق بين الغرب والشرق ، وذوبان الأيديولوجيات في رؤية جديدة واحدة تتوثب لعرض مشرعيته على العالم أجمع .

في نطاق ذلك نعتبر رحلة السيد الرئيس حسنى مبارك إلى دول الخليج رحلة إلى المستقبل ، بل إنها بادرة إلى الاتفاق على أمرين هامين :

الأول : نظام أمن عربى للدفاع عن المنطقة ، والإسهام بقوته الذاتية في توازن القوى العالمية .

الثانى : الاتفاق على بداية طيبة للتكامل الاقتصادى الذى هو أساس كل نهضة حقيقية لتحقيق التقدم والرخاء للشعوب .

وأرجو أن يكون الحوار قد تطرق لخلق رؤية جديدة لأنظمة الحكم تتوافق مع العصر ، وتتجاوب مع رؤاه .

لم تكن رحلة استكشاف للمستقبل فقط ، ولكنها اقترنت بالعزم على تنفيذ ما يمكن تنفيذه في الحال ، والحق أن جميع ما اتفق عليه لم يكن وليد اللحظة أو رد فعل للأزمة ، ولكنه يعكس هوائف الضمائر العربية على مدى نصف قرن ، ولعله لم يعطله إلا الجو العربي بها حمل من خلافات وأزمات وأخطاء جعلته دائماً يقدم المهم على الأهم ، ويهدر كثيراً من القوى فيما لا طائل وراءه .

الحق أنه آن لنا أن نعمل ، ولا نؤخر عمل اليوم إلى غد . . . وألاً نحيد عن الطريق المستقيم الذي لا يحيد عنه ولا تردد فيه ولا طريق غيره للحياة الكريمة .

١٩٩٠ / ١١ / ٢٦

حلم ساعة

كلما مر يوم لاحت في الأفق نُذر الحرب ، ولكن بشائر الحل السلمي لا تتلاشى ، مازالت تهدى إلينا الأمل في تجنب المنطقة ويلات الحرب ، آخر ما عرفناه منها مبادرة الرئيس الفرنسي ميتران ، ولعلها ذات مزايا لا يمكن أن يُستهان بها ، فهي مُحققة لقرار مجلس الأمن ، مع تجاوز بسيط فى الشروط ، وواعدة بتحقيق السلام الشامل العادل فى الشرق الأوسط .

ولعل ذلك ما سمح لنا بأن نركن إلى الحلم ساعة من الزمان ، برغم معاناتنا للواقع المتوتر المتجهّم ، فلنحلم بما ينبغى أن يتم فى عالمنا الصغير الذى أنهكته الحروب ومزقته الخلافات .

فأولاً : يجب أن يعود الكويت إلى استقلاله وتعود إليه سيادته .

وثانياً : يجب أن نمضى بنفس العزم فى حل المشكلات الراكدة فى فلسطين والجولان ولبنان .

وثالثاً : يجب أن نحل الخلافات العربية ، ما تعلق منها بالحدود أو الأقليات ، وفى مقدمتها الخلافات القديمة بين العراق والكويت .

ورابعاً : يجب المبادرة إلى تنفيذ التكامل الاقتصادى على أسس عادلة

بين الأغنياء وغيرهم ، فعلى غير الأغنياء أن يمهّدوا أرضهم لتكون موضع الثقة والأمان للاستثمار ، وعلى الأغنياء أن يتوجهوا بقرار نهائى إلى استثمار أموالهم وتحقيق أرباحهم فى تطوير وطنهم العربى الكبير ، والوثوب به إلى العصر .

وخامساً : يجب على كل وطن عربى أن يسد الفجوة التى تفصل بينه وبين العصر الحديث فى نظام الحكم ، واحترام حقوق الإنسان ، والاعتماد فى التصدى لمشكلاته على العلم ، مؤيداً ذلك كله بإيمانه العريق ومبادئه السامية ، ومن يدرى ، فلعل ذلك الانفجار لم يقع إلّا ليشدنا إلى التصدى لأمرضنا ، ويبلغ بنا الفرج بعد الشدة !

(١٩٩٠ / ١١ / ٢٩)

حوار مع الرؤية

إننا بإزاء رؤية جديدة تصلح للمشاركة في عالم جديد ، وأعتقد أن هذه الرؤية تقتضى إحداث حركتين : إحداها في الداخل ، والأخرى في الخارج .

فبالنسبة للداخل يجب التركيز على ما يأتي :

أولاً : أن نستكمل أبعاد ديمقراطيتنا بكل ما تتطلبه من عمل دائم وشجاعة فائقة ، يجب أن نعيد النظر في الدستور ليكون مصباحاً للاستنارة ، ومظلة لحقوق الإنسان ، ودرعاً للعدالة والقضاء ، وقوة للشعب من أجل الشعب ، وضماناً للوحدة الوطنية ، ووعاءاً للمبادئ الإنسانية والقيم الدينية ، مع تطهير جونا من مختلف القوانين الاستثنائية ، خاصة ما يتعلق منها بالتقاضى والصحافة ، وسيكون ذلك أساساً للاستقرار المنشود ، يطمئن به المواطن والمستثمر في آن واحد .

ثانياً : أن نولى البحث العلمى ما يستحقه من إيمان ورعاية . . وأن نضع العلماء حيث يضعهم العصر ليتولوا القيادة العلمية في جميع الأنشطة ، وأن نذكر أن ألمانيا واليابان - المهزومتين - استردتا مكانتهما بالعلم ، فحققتا به نصراً ما كان ليتحقق إلا بحرب ثالثة يُكتب لهما فيها

النصر . فللعلم الكلمة الأولى في كل ميدان ، وهو وحده الذى يكفل المساواة بين أمة صغيرة وأخرى عملاقة .

ثالثاً : أن نستكمل ثورة التعليم ، باعتباره المهد الذى تبنى فيه البذور الصالحة لازدهار الديمقراطية والبحث العلمى ، بالإضافة إلى بناء الفرد على أسس دينية وقومية وثقافية ، لخلق المواطن المنتمى الذى يعد العمل والمعرفة والتفكير عبادة .

وأنا لم أتعرض للمشكلات المتحدية ، فهى محفوظة متداولة في الخطة الشاملة ، ولكنى أتحدث عن الخطوط العريضة لرؤية جديدة .

وبالنسبة للخارج فأعتقد أن الأمر لم يعد كما كان في الماضى بحثاً عن مجال حيوى ، أو تطلعاً لزعامة ، فقد يكون ذلك مهماً ، ولكن الأهم منه اليوم أن نعرف أى نعمة يمكن أن نعزفها في السيمفونية العالمية ، بحيث يحدث اشتراكنا طرباً لانشازاً قد يجرح علينا المتاعب . يجب أن نعرف قيمة السلام مع العالم لتتهدأ لنا فرص الازدهار في الداخل .

إنه عالم جديد لا يطالبنا بالقوة بمعناها المعهود فحسب ، ولكنه يطالبنا بما هو أشد وأبقى . . يطالبنا بالعلم والحكمة والعمل الدائب .

(١٩٩٠ / ١٢ / ٣)

رئيس لكل العصور

كيف يتحدى الرئيس صدام حسين إرادة العالم بهذه الصورة المستفزة؟
لعل هذا ما أغرى البعض بتصوير تمثيلية مرسومة . وأنه يلعب الدور
المتفق عليه وهو على أتم ما يكون من الطمأنينة .

وهذا التصور إن جاز أن يُقبَل بين دولتين فمن الصعب قيامه بين
دولة والعالم كله ، فضلاً عن ذلك فإن التمثيلية المزعومة اقتضت تحريك
جيوش ومعدات لم يعهدها العالم إلا في حروبه الكبرى ، وانفجرت فيها
براكين الغضب من الجانبين لدرجه تفوق أى اتفاق أو تأمر ، وبالإضافة
إلى ذلك فإن التراجع بدون تحقيق القرار العالمى ينقض كالصاعقة على
كرامة الأمم العظمى وبقيّة الأمم ، وعلى الآمال التى عقدها البشر حول
قيام عالم جديد فى نيّاته وأسلوبه وأهدافه .

وإذن فالنزاع جد لا هزل ولا تمثيلية ، ولنسأل من جديد عن موقف
الرئيس المتحدى للإرادة العالمية ، ولنستبعد أيضاً فروض الجنون وما
يلحق به من أعراض الاستبداد ، فالرجل يُحاور ويُداور ، ويحتمى
بمهارة بقضايا المنطقة وثرواتها ، ولا يرفض السلام ، ويطلب
بالمفاوضة ، ويحمّل خصومه مسئولية العواقب الوخيمة المتوقعة .

الذى أتصوره - والله أعلم - أن الرجل مازال يتعامل مع العالم الذى

نشأ فيه وتمرس بأساليبه ، وحفظ قاموسه وحيله ، ولم يُصدّق بعد أن الدنيا تتغير ، وأنها تتطلع إلى حياة جديدة .

لقد كان العالم القديم غابة مملوءة بالشعارات الجميلة والنيات الخبيثة والأفعال الإجرامية . وكانت عُصْبَةُ الأمم بعد الحرب العظمى الأولى عصابة من الأقوياء لاستغلال الضعفاء ، وظلت هيئة الأمم بعد الحرب العظمى الثانية تتأرجح بين الخير والشر ، مُدْخِرَةً « الفيتو » لحماية القوة في المواقف الحرجة ، ثم جاء الوفاق بين الشرق والغرب فأذّن بمولد عالم جديد .

وشاء حظ الرئيس العراقي أن يكون سلوكه « التقليدي » أول اختبار لهذا العالم في توجهاته الحديثة . ونستطيع أن نقول : إن العالم قد نجح حتى الآن في الاختبار ، وأنه لن يرضى بالهزيمة .

فعلى الرئيس العراقي أن يدرك ذلك ، وأن يدعّن للمشينة العالمية ، فينقل وطنه العراقي وأمتة العربية ، ويقدم أول مثل طيب في احترام القانون والتوافق مع العالم الجديد .

(١٩٩١ / ١ / ١٠)

اعترافات نصف الليل

تحت راية الأمل الخفاقة تمر سُحُب معتمة من القلق والهواجس ،
ولكن المستند إلى صخرة المبادئ لا يجوز عليه الخوف ، فهو يعرف
طريقه ، ويرضى عن مصيره ، وقد تمخض الموقف عن صورة مأساوية
غريبة ، صورة العالم يُحاصر مخزناً للبارود يقوده رجل شرير . . لم أستطع
أن أقول إنه رجل مجنون ، إذ أن المجنون لا يعي شيئاً ، ولا يبالي بشيء ،
على حين أن رجلنا مازال يعي بأنانيته ، وقد أدرك أنه فَجَّرَ جحيماً في
أركان وطنه الطيب ، فَهَرَّبَ من نيرانه أسرته وأبناءه ، غير مبالي بشعبه
الذي يعاني صباح مساء ، والذي نشاركه آلامه وأحزانه .

ذلكم هو صدام حسين الذي يحارب ، لا أملاً في انتصار ، ولكن
طمعاً في نشر الدمار والخراب والفوضى ، كي تبلغ أقصى ما يمكن أن
تبلغه من البلاد الآمنة ، وتهلك أقصى ما يمكن أن تهلكه من الأنفس
البريئة ، ما أشبه عمله بعمل إبليس الذي يفعل ما يستطيع وفوق ما
يستطيع من شر ، دونما أدنى أمل في الخلاص . فإذا لم يضطر إلى إصدار
قرار الانسحاب ليقى شعبه نيران الجحيم ، فالأمل الباقي هو القضاء
عليه في أقصر وقت ممكن . . يجب القضاء عليه سريعاً لخصر خسائرها
وآلامنا في أضيق دائرة من سوء الحظ والتعاسة .

ولنذكر في مآساتنا أننا نكابد ما نكابد جزاء ضعفنا وتدهورنا وتفريطنا
 في كرامتنا ، دون حاجة إلى مكيدة أو سيناريو من الأشباح العالمية .
 نحن الذين نخلق الأصنام ونعبدها ونُمكنُها من العبث بمصائرنا .
 إنَّ فينا من تفتنه القوة ولو حادت عن الحق والشرف .
 وفينا من يرحب بالغزو إنَّ أنس منه خيراً لنفسه .
 وفينا من يفرح للسرقة إذا أمل أن ينال حظاً منها .
 وفينا وفينا وفينا ، مما جعلنا مستودعاً للخرافات ، والانتهازية ،
 والأمراض العقلية .
 فليكن لنا من هذا الزلزال صحوة ، وفرصة نرى فيها أنفسنا على
 حقيقتها . . والله لا يُغيِّر ما يقوم حتى يُغيِّروا ما بأنفسهم .
 (١٩٩١ / ١ / ٢٤)

المصالح والمبادئ

يقولون إن السياسة مصالح ولا علاقة لها بالمبادئ والأخلاق ، وقد ساءت سمعة المصالح من مصدرين .

الأول : التاريخ ، فهو حافل بالمكائد والدسائس والمؤامرات والحروب التي أهلكت الملايين من البشر ، وأدلتّ المثات من الدول في سبيل مصالح الأقوياء .

الثانى : الحياة اليومية التى تقسم فيها الناس بين رجال مبادئ ، ورجال مصلحة ، لا يتورعون عن أى انحراف تحقيقاً لمصلحتهم .

فَصَحَّ فى الأذهان سوء سمعة المصالح مع خطورة الدور الذى تلعبه فوق مسرح السياسة . أحاول اليوم أن أتناسى ما صحَّ فى الأذهان ، وأن أتفحص معنى المصالح من جديد ، فكيف ينبغى لنا أن نفهم المصالح؟

مصلحة أى أمة هى المقومات والأسباب التى تقوم عليها حياتها وحضارتها ، مثل النيل لمصر وبلاد وادى النيل ، والبتروى لبلاد الحضارة الحديثة ، وغير ذلك . وهى بهذا المعنى خيرٌ مُطلَق ، وواجب كل دولة وكل مسئول فيها المحافظة عليها .

ولكن كيف تتحقق المصالح ؟

هنا تتعدد الطرق والوسائل تبعاً للظروف والأحوال .

فقد تهيمن على العالم روح القوة والمنافسة فتحقق المصالح بأى وسيلة بدون نظر إلى المبادئ أو الأخلاق ، فتكون الدسائس والمؤامرات والحروب والاستعمار بكافة أقنعتة .

وقد يتعلم العالم من تاريخه القاسى دروساً ، فيميل إلى التعاون والشرعية ، ونبذ المؤامرات والحروب ، كما نشهد اليوم مِنْ تَوَجُّهِ أوروبا نحو الوحدة ، والوفاق بين الشرق والغرب . وإذن فأستطيع أن أقول - وأرجو ألاّ ينجيب رجائى :
إن المصالح خيرٌ مُطلَق .

وإن السياسة الرشيدة وثيقة الصلة بالمبادئ والأخلاق ، ولا غنى لها عنهما .

ولعلنا لا نختلف مع صدام حسين ومؤيديه فى المصالح ، ولكننا نختلف فى الطريق ، فهم يُكْرِمُونَ الغزو والنهب والسرقة ، ونحن نتمسك بالقانون والتعاون والشرعية والسلام .

(١٩٩١ / ١ / ٣١)

اعرف نفسك

مَنْ مِنَ العرب يرفض الرئيس صدام حسين ؟ وَمَنْ يؤيده أو يتعاطف معه ؟

في محاولة الإجابة عن هذا السؤال اختبار لأنفسنا ونجباياها ، ودراسة لمجتمعنا وما يوجب به من تيارات ، وقديماً دعا الحكيم كل إنسان بقوله المأثور : « اعرف نفسك » .

لقد رفضه بشدة جميع الذين يتمسكون بالمبادئ والعهود ويؤمنون بالأمن العربى ، ويتطلعون إلى غد يجتمع فيه العرب فى وحدة تقوم على الإخلاص والتعاون والرغبة المشتركة فى التقدم وفى ظل سلام وتوافق مع الشرعية الدولية .

وأيده من تبهرهم القوة دون اهتمام بمبادئها ، ويؤثرون المنفعة من أى طريق جاءت ، ولا يبالون بالمبادئ والعهود ، ولا يصدقون أن عالماً جديداً يتشكل ، فما زال الماضى السيئ يشدهم إليه بذكرياته المرة وسلوكياته الغادرة .

وقد نشأ الفريقان نشأة طبيعية تتناغم مع رؤيتهم للحياة ومدى توافقهم معها ، ولعله من حُسن الحظ أن الفريق الراض هو الغالب إذا

اعتمدنا في تقديرنا على ما يجري في مصر ، وما يموج به الشارع المصري ،
وتشير إليه الإحصائيات ..

ولكن ليس جميع مؤيدي صدام من تلك النوعية التي لا تخلو من
منطق خاص ، وأن يكون منحرفاً ، فقد انضم إليهم فريق أدمن العداوة
للغرب ، وتمادى فيها حتى صارت من مقومات حياته وأسس توجهاته ،
ربما لأسباب كان لها ما يبررها قديماً ، ولكنهم عكفوا عليها ، فَتَغَيَّرَ
العالم وأَبْثُوا أن يتغيروا . . أيد هذا الفريق صَدَّامًا ، لا حُبًّا في صدام ، ولا
إيمانًا بما فَعَلَ ، ولكن كراهية في الغرب ، حتى إذا اتفق معنا في المصالح
والمبادئ . .

وهناك فريق آخر من المؤيدين ، هم خصوم الحكومة ، لأسباب
داخلية سياسية أو اجتماعية ، فجرفتم الخصومة إلى تأييد مَنْ ترفضه
الحكومة وَرَفُضَ مَنْ تُوِيده سحارة لعواطفهم ، ودون محاولة لاتخاذ موقف
قومي يتفق مع العقل والمصلحة القومية كما فعل خصوم آخرون .

هذه صورة تعكس لدرجة ما واقعنا ، والحق أنه ليس كل واقعنا ،
فثمة فئات قليلة لاوَزَنَ لها ، منها مَنْ يُصَدِّدُ مَنْ تلعب به الأحداث ،
فيكون في الصباح على رأى وفي المساء على رأى ، لكنني ركزت على
التيارات الثابتة ، والصورة في عمومها لا تخلو من قُبْح ، ولكنها أبعد ما
تكون عن اليأس ، وأختم بما بدأت به من القول المأثور : « اعرف
نفسك » لعلنا نُحَسِّن التعامل معها ومع الآخرين .

(١٩٩١ / ٢ / ٧)

بطل الترسو

من الملاحظات المثيرة التي لا تخفى على عشاق السينما تحيز جمهور الترسو وإعجابه بالشرير إذا توافرت فيه الجرأة وقوة الحيلة والمهارة في الكر والفر ، مما يهيء له انتصارات وقتية على رجال الشرطة قبل أن يقع في قبضتهم ، وكثيراً ما انتحلنا الأعذار لذلك الجمهور لخدائته بسنه ، وسوء تربيته ، واستعداده الذي لا حيلة له فيه للانحراف ، وكراهيته للقانون وأهله .

وقد « عشنا وشفنا العجب » كما تقول الأغنية القديمة ، عشنا لنسمع عن تحيز جمهور عربى لشرير عربى حقيقى لا من خيال الأفلام ، يتحدى العالم بانحرافه ، حتى مرغ سُمعة العرب في التراب . وتخطت ظاهرة الإعجاب هذه المرة الأحداث إلى رجال يُعدون من صفوة المجتمع وأبنائه الراشدين ، هم الذين يشجعون اليوم صَدَّامًا ، ويدافعون عن انحرافاته غير مباينين بضحاياه من الدول والبشر والمبادئ .

لا أنكر أن صمود العراق تحت المطر المنهمر عليه من القنابل يستحق التقدير ويثير الأحزان ، ولا أنكر أنني أتمجج الحسرة كل يوم مرات أن هذه القوة لم تُدَّخَرْ لدعم الأمة العربية وحل مشاكلها وتحقيق السلام القائم على العدل ، ولكن « صدام حسين » أهدرها برعونة وجنون ، مرة في الانقضاض على وطن إسلامى ، وأخرى في ابتلاع وطن عربى ، وأنه

بسوء تقديرة واندفاعه المَرَضِيّ شق العرب نصفين ، وزلزل أمتهم ، ودعا العالم كله إلى إدانته وتأديبه ، وكرس ذاته عاملاً من عوامل الدمار كالزلازل والبراكين .

إنه صورة قبيحة تعمل خارج نطاق العالم الحديث وآماله وتطلعاته الطيبة . . إنه يصر على رفض الحلول السلمية ، ويهدد بالرهائن ، وينكل بالأسرى ، ويطلق صواريخه على المدنيين ، ويتباهى بأسلحة الدمار الشامل ، ويلوث البيئة ، وينشر الدمار في منطقته القومية بدون مبالاة بأى مسئولية أو قيمة بشرية .

وبفضل إعجاب جمهور « الترسو » الحديث صارت الصورة القبيحة رمزاً للعرب والمسلمين ، وغير خاف ما يلاقونه في بلاد الحضارة من سوء المعاملة والازدراء . وما زالت الجهود تُبذل لإنقاذ المجرم ، وتبرير الجريمة على حساب الأبرياء المظلومين والقيم الشريفة ، على حين أنه لم يبق لنا من عزاء وسط الأحزان والمآسى إلا أن تنتهى الكارثة بِنُصْرَةِ الحق والعدل والقيم البشرية الشريفة .

(١٩٩١ / ٢ / ١٤)

باب الأمل

في بيان العراق الأخير هُجَّةُ المنتصر الذي يُملئ شروطه ، لذلك رفضه الجانب المحارب واستمر في حربه ، ولكن ثمة ظاهرتين تدعوان للأمل : أولاهما : تسليم الرئيس العراق لأول مرة بمبدأ الانسحاب من الكويت ، وثانيتهما : فرحة الشعب العراقي بما ظنه نهاية عذابه وبدء استئنافه لحياته الإنسانية الطبيعية .

بالنسبة للرئيس العراقي الذي سَلَّمَ بمبدأ الانسحاب من الكويت لا يجرؤ أن يتجاهل فرحة شعبه بإنهاء عذاب الحرب ، لقد جاء إعلان الفرحة كاستفتاء تلقائي يجب احترامه ، والركون إليه إذا اقتضى الأمر تغييراً في الخطاب أو تراجعاً عن العناد ، ولن يضير زعيماً أو يقلل من شأنه أن يصغى إلى صوت شعبه وينفذ رغبات ضميره ، بل العار - كل العار - أن تأخذه العِزَّةُ بالإثم أمام شعبه .

أما الشروط التي وصفها السيد رئيس جمهورية مصر بأنها تعجيزية فيجب أن تكون الآن موضوع مفاوضة بين المتعاطفين مع العراق والمستولين العراقيين ، ويجب أن يتم ذلك بدون إبطاء .

من هذه الشروط ما يُعَدُّ تعجيزاً واضحاً فيجب حذفه .

ومنها ما يُعَدُّ من مطالب الأمة العربية التي لا تكف عن التفكير فيها

وإعداد العُدَّة لها ، مثل القضية الفلسطينية ، والجولان ، وجنوب لبنان ، وخلافات الحدود بين البلاد العربية .

على المتعاطفين أن يُقنعوا الرئيس العراقي بالانسحاب بدون قيد أو شرط تنفيذًا لقرارات مجلس الأمن ، ورغبة الشعب العراقي .

وعليهم من جهة أخرى أن يُطالبوا مجلس الأمن والأمم المعنية بإعلان تعهدها بحل المشكلات الباقية بعد إتمام الانسحاب ، وعودة الشرعية إلى المنطقة .

يجب ألا تُضيع دقيقة بدون عمل ، فكل دقيقة تمر يهلك فيها أرواح وعمران .

(١٩٩١ / ٢ / ١٨)

حائط المبكى العربى

علينا أن نسلم بأن لكل خطأ ثمنه . الحياة البشرية جهاد مستمر يطالبنا فى كل لحظة ببذل ما نملك من قدرات وحكمة ، وهو جهادٌ قاسٍ لا يعرف الرحمة ، ولا يتسامح مع ضعف ، ولا يغضى عن هفوة ، لا مكانَ فيه لمُهمِّلٍ أو مُتَسَيِّبٍ أو لاهٍ أو عابثٍ . على المُخطئ أن يدفع ثمن خطئه ، وعلى جميع من هادته أو خدع به أوسكت عنه أن يُقاسمه العقوبة ويشاركه المصير .

قد يستبد طاغية بالسلطة ، ويجر بطغيانه الولايات على أمته ، ونساءل فى رثاء : وما ذنب أمته ؟ ألم يكبلها بالأغلال ؟ ألم يسقط عليها الحديد والنار ؟ ولا أهوُّ من شأن الأغلال ، ولا أستهين بالحديد والنار ، ولكن الحياة فى تقدمها لا تقيم وزناً لتلك الأعداء ، وتدمغ الشعوب التعيسة بالذنب ، وتحملها المسئولية ولا تعفيها من العقاب . لا يمكن القضاء على طاغية دون المساس بشعبه . . ولا مكان فى قاموس الجهاد لإيثار السلامة والصبر والتواكل . لقد تعاقبت علينا الدروس ، وفى أعقاب كل درس نعاهد أنفسنا على استيعاب الدرس وتغيير الواقع السيئ ، ثم سرعان ما ننسى ، وتكرر الجريمة ، ويتكرر الاستسلام ، ويقع الخطأ ، ويحىء العقاب ، ويجرفنا فيها يجرف ، ويتصاعد الأنين ، ونبدو كأننا حملان بريئة ، وما نحن إلا مدمنون .

بسبب ذلك الكسل الحضارى تتفجر أزماتنا كالبراكين ، وتتطاير منها الكوارث ، ثم نكون أحسن ما نكون ، ونفكر فى البناء والتعمير ، ونكتسب سُمعة طيبة ، وإذا بطاغية يطلق كلمة هوجاء ، أو يرتكب إثماً خبيثاً ، أو يسلك سلوكاً بهيمياً ، فإذا بنا نتخبط فى الشقاق والعداوة ، وإذا بالعالم يتكتل ضدنا كعصاة من الخارجين على القانون ، وتنهار سُمعتنا وتردى ، ونصبح عنواناً للهمجية والفساد .

ويتصدى فلاسفة السياسة وقراء الغيب لهتك الظلمات ، ويسلطون أنوار بصائرهم على المكائد والسيناريوهات والإمبريالية العالمية ، وقد يصح الخيال أو لا يصح . ولكن لماذا نهرب من وضع أنفسنا على المشرحة ؟ . لماذا لا نحدد مسئوليتنا ونحن المؤثر المباشر ؟ لقد سكتنا حين وجَبَ الكلام ، وتراجعنا حين وجب الفعل ، تركنا أعناقنا للأفَّاكين والدَّجَّالين وأشباه الرجال ، وتخلينا عن مسئوليتنا وتراثنا الحقيقى من العزة والجهاد .

وتقع الواقعة ، فنلتف حول حائط المبكى العربى ، لنسْفَحَ الدموع ، ونلعن الإمبريالية العالمية .

(١٩٩١ / ٢ / ٢١)

المأساة بين الواقع والخيال

الوقائع التي تزلزلنا هي أن زعيماً عربياً غزا الكويت ونهبها ثم ضمها إلى وطنه ، ونتيجة لصنعه تمزق العرب ما بين مؤيد للشرعية والمبادئ والمصلحة العربية القائمة على الحرية والعدل ، ومنحاز للقوة بأى ثمن . ووجد العالم في الغزو ما يتحدى مصالحه ومبادئه الجديدة ، فأصدر قراراته المعروفة ، وبُذِلَت المساعي العديدة من الشرق والغرب لحل المشكلة حلاً سلمياً ، ولكن المساعي تطايرت على صخرة عناد الزعيم ، فكانت الحرب ، وناور الزعيم بكل وسيلة غير مشروعة ، فساوم بالرهائن ، ونكّل بالأسرى ، وأطلق صواريخه على المدنيين ، ولوث البيئة ، ومازال يهدد بالمزيد من المنكرات حتى مرغ شُمة العرب في التراب ، وجعلهم رمزاً للهمجية والشر .

هذا هو الواقع ، أما تفسيره فقد اختلفت الآراء :

البعض وجد في تسلسل الأحداث ، وطبيعة الزعيم ، والخلفية التاريخية التفسير الكافي ، فالحدث في النهاية ثمرة رجل دموى طاغية ، له سابقة في الاندفاع إلى الحرب ، وعليه شهادة دامغة بقصر النظر ، وسوء تقدير العواقب .

ولكن البعض الآخر يتخطى الأحداث والمشاهدات إلى ما وراءها ،

فيزعم أن التراجيديا التي نكابدها نتيجة مكيدة حيكّت للسيطرة على العرب وثرواتهم ومستقبلهم ، وأن الزعيم العربي يلعب دوره في التراجيديا بوعى أو بغير وعى .

الاختلاف كما ترى في التفسير فقط ، وفي الحكم أيضًا على « صدام حسين » فنحن نقول : إنه عربى طاغية ، سىء التقدير والسلوك ، أما هم فيقولون : إنه عميل أو مغفل .

الغريب فى الأمر أننا فى حدود تصورنا نطالب بعودة الشرعية ، بالانسحاب من الكويت ، ولا نرى بأسًا من تأديب الطاغية إذا أصرَّ على الرفض .

أما الآخرون فينادون بإيقاف الحرب بلا شروط ، مما يعنى التستر على الجريمة ، وإنقاذ الرجل الذى كشف خياهم المبدع عن كونه عميلًا أو مغفلًا .

كان الأجدر بهم أن يتفحصوا واقعهم ، وأن يتساءلوا عما يجنبه الوقوع فى المكائد ، وعما يؤهله للتصدى لعالم يموج بالمكائد والدسائس ، عن نظام الحكم ونوعية الرجال التى تقود السفينة بدون انزلاق إلى الغفلة أو الخيانة ، ولكنهم لا همَّ لهم إلا إنقاذ المجرم والتغطية على الجريمة .

أيها السادة :

نحن برغم الآلام والأحزان متفائلون بالعواقب ، نأمل فى عودة الشرعية ، وحل مشكلات المنطقة فى ظل مبادئ دولية جديدة وطيبة . وأنتم متشائمون ، لا ترون فيما يجرى وما يُقال إلا تكرارًا للماضى

بمآسيه القهرية الاستعمارية ، ولا أزعـم أننا في تفاؤلنا على يقين مائة في المائة ، فلا تكونوا في تشاؤمكم على يقين مائة في المائة .

لننتظر شهراً أو بضعة أشهر وسوف تنجلي الحقيقة ناصعة . . إن تكن خيراً فخير . . وإن تكن شراً فقد تعلمنا من ماضينا أن نتعامل مع الخير بما يناسبه ، ومع الشر بما يناسبه .

(١٩٩١ / ٢ / ٢٨)

المأساة

في هذه الفترة من التاريخ تعبر الجحوى العربى ثلاث موجات من الإحباط :

الأولى : موجة فقر ومعاناة فى بعض أوطانه وطبقاته ، جعلت من الحياة عبثاً لا يُحتمل ، وألقت على وجه المستقبل قناعاً أسود ، داعية الناس للرفض والتمرد .

الثانية : هى قضية فلسطين ، وتمّادى إسرائيل فى التشدد واستعمال العنف ، كما نشاهد كل يوم فى الأرض المحتلة وجنوب لبنان ، وقد تركت تلك الممارسات جرحاً عميقاً فى كبرياء كل عربى ، وأغرته بالتلهف على القوة بأى ثمن ومن أى سبيل .

الثالثة : موجة دينية متطرفة أوقفت الزمن عند نقطة لا يتجاوزها ، واعتقدت - تبعاً لذلك - أن الحروب الصليبية مازالت قائمة ، وأن الإسلام مازال هدفَ المتربصين ، وأنهم مازالوا يكيدون له بالسلاح والرأى والثقافة .

من أجل ذلك وجد رجل مثل « صدام حسين » قطاعات عربية غير قليلة تُبايعه على الزعامة ، وتعلن استعدادها لافتدائه بالروح والدم .

ومنْ هو صدام حسين ؟

إنه رجل لا يخلو من قوة ذاتية ، ولمسات من سحر الزعامة ، ولكنه جاهل على المستويين : المدني والعسكري ، طموح ، أناني ، دموى كفرد ، طاغية ، لا يطبق رأياً مُخالفًا ، أو شخصًا ذا استقلال وقوة ، وقد تولى شئون العراق وهى تتقدم بخطى ثابتة ، فزادها تقدمًا ، حتى تنبأ له كثيرون بمستقبل عظيم ، وإذا بالطاغية يدفع بها إلى حرب إيران ، مستهترًا بكل المبادئ الإسلامية ، ويحيلها إلى أمة مَدِينَة مشخنة بالجراح ، ثم يدفعها مرة أخرى إلى التهام الكويت ، مستهينًا بالمبادئ العربية والشرعية الدولية .

وتتابعت فصول المأساة كما نذكرها جميعًا ، وفى أثنائها وضحت للعين بقايا الخفافى من شخصيته ، وضح أنه « جعجاع » قليل الأدب ، سىء الرأى والسلوك ، لص ، غادر ، يعبث بالرهائن والأسرى ، يعتدى على المدنيين ، يلوث البيئة ، يحرق آبار البترول . . إنه بإيجاز : أقبح وجه عربى ، وأسوأ عنوان ، وشرُّ مَثَلٍ . . كيف وُجِدَ هذا الكائن المرذول ؟ مَنْ يُشايعه ؟ أو يتبعه ، أو يتعاطف معه ؟

ارجع إلى موجات الإحباط الثلاث لعلك تجد تفسيرًا ، ولكنه ليس بالعدر ، وبحسبه أن يجعلنا نتأمل مأساتنا الأخلاقية ونتلمس جذورها . علينا أن نقهر الفقر ، وأن نحل القضية ، وأن نعالج التطرف . وهو طريق طويل ، ولكنه يبدأ بالديمقراطية الكاملة .

(١٩٩١ / ٣ / ٤)

معركة السلام

لقد انتصرت القوات المتحالفة في معركة الخليج ، وعليها الآن أن تنتصر في معركة السلام . . لقد انتصرت تحت مظلة قرارات عالمية ، أدانت العدوان ، وتمسكت بالشرعية والقوانين الدولية ، فالمنتظر والمأمول أن تقيم دعائم السلام على نفس المبادئ ، فتؤكد صدقها وعدالتها ، وتجهض رأى خصومها.الذين دعوا إلى الحذر من شعاراتها ، واعتبروها غطاءً لنوايا شريرة تستهدف السيطرة على المنطقة وثرواتها ، وكم من معاهدات صُلح هيأت للمنتصر ما يشتهى من انتقام من عدوه ، وإذلال له ، وقضاء على قوته وكرامته ، فحققت سلامًا مؤقتًا ، ومهدت لحرب تالية راح ضحيتها الملايين من البشر ، والمليارات من الأموال .

إن حرب الخليج هي أول تجربة يصادفها العالم وهو يعمل على تغيير سياسته إلى سياسة جديدة تقوم على التعاون والعدل والنظرة الإنسانية الشاملة ، فنجاح العالم في علاجها هو بمثابة وضع حجر الأساس في بناء عالم جديد لبشرية جديدة . وطالما دار الحديث حول نظام أمني جديد للمنطقة يحقق الاستقرار والنمو ، ويضمن للأمم مصالحها فيها ، ولا يواجهها بالآزمات على فترات دورية .

وهذا النظام الأمنى لا يقتصر على تنظيم القوات العسكرية ، ولكنه يقتضى قبل ذلك - أو مع ذلك - حل المشكلات التى تسبب فى خلق الأزمات والاضطرابات ، وتصدير الضرر إلى جميع أنحاء العالم .

علينا أن نتصدى لحل القضية الفلسطينية بما يحقق السلام الشامل القائم على العدل ، كذلك الجولان ، وجنوب لبنان ، وعلينا أن نحل مشكلات الحدود حلاً حاسماً ونهائياً .

علينا أن نفرغ من جميع أوزار الماضى ليتسنى لنا بدء حياة جديدة تتناول كل ما ينقصنا فى أنظمة الحكم والتكامل الاقتصادى ، والتوجه الحضارى نحو العلم والحضارة ، فى ظل السلام والإيمان والإخوة البشرية .

(١٩٩١ / ٣ / ٧)

العودة إلى البيت

غَدَاة إيقاف القتال وَجَّة السيد رئيس الجمهورية نداءً عربيًا ، من
أبرز نقاطه :

- ١ - استعادة الثقة بين الأوطان العربية .
 - ٢ - تسوية النزاع العربى الإسرائيلي .
 - ٣ - إخلاء المنطقة من أسلحة الدمار الشامل .
 - ٤ - تسوية الخلافات بين البلاد العربية .
 - ٥ - التركيز على الأمن والتنمية .
 - ٦ - تعزيز مسيرة الديمقراطية .
- وبالنسبة لمصر يجب أن تعود إلى جدولة أهدافها ، وتوجيه المهمة إلى تحقيقها بِنِيَّة صادقة ، وعزيمة صلبة ، ومثابرة لا تتوقف .
- وفى مقدمة هذه الأهداف - ونحن نُجْمِلُ ولا نُفَصِّلُ :
- ١ - تعزيز مسيرة الديمقراطية بإعادة النظر فى الدستور ، وإلغاء القوانين الاستثنائية ، والتركيز على احترام حقوق الإنسان ، والوحدة الوطنية .
 - ٢ - التركيز على المشكلة الاقتصادية ، وتهيئة الأرض للعمل

والاستثمار، وإزالة كافة العواقب البيروقراطية والقانونية ، والتصدي للمشكلات بالحزم والشجاعة المطلوبين .

٣ - الاستمرار فى ثورة التعليم بهدف رَبِّطُهُ بالتنمية والمجتمع ، وإقامته على أسس ديمقراطية تشجع التفكير والإبداع ، والعناية الفائقة المستنيرة بالتربية الدينية والقومية والثقافية .

٤ - الاهتمام الواجب بالعلم والبحث العلمى ، وتمكين العلماء من أداء واجبهم فى التخطيط والإرشاد فى كل ما يتعلق بشئون المجتمع ، ويتضمن ذلك شئون البيئة وتنظيم الأسرة .

٥ - سيادة القانون سيادة جامعة مانعة ، وتنظيم القوانين وغربلتها ، ويدخل فى ذلك استقلال القضاء وتحقيق مطالب القضاة .

٦ - شن الحرب على الفساد والمخدرات والتطرف بشتى الوسائل العلمية والوعظية والأمنية .

نريد أن نتابع أنباء التقدم كما كنا نتابع أنباء الحرب ، فلا يمضى يوم بدون قرار بَنَاءٍ أو عَمَلٍ صالح .

(١٩٩١ / ٣ / ١٤)

غداً يوم جديد

المسيرة الداخلية يجب أن تنطلق بدون انتظار أو إبطاء . علينا أن نضع قرارات وزراء خارجية الدول الثماني موضع التنفيذ في كل ما يتعلق بالتعاون الاقتصادي والاجتماعي والثقافي ، ليمضي ترتيب البيت بكل قوة وإخلاص ، برغم أن الشؤون الخارجية تطرح نفسها في نطاق اهتمام عالمي غير قابل للتأجيل كذلك .

في مقدمة هذه الشؤون الخارجية النظام الأمني للمنطقة ، وهو نظام - في تصوري - ذو شقين : أحدهما سياسى ، يتعلق بالمشكلات شبه المزمنة التي تنفجر كل عشر سنين في صور أزمات حادة ، وقلاقل وحروب . وثانيهما عسكري ، يتضمن وسائل الدفاع ونوعيته وكثافته .

ولولا أن الشق السياسى يقتضى زمناً يناسبه لاقتрحت أن نفرغ منه أولاً ، لأن التفكير في إقامة نظام دفاع لمنطقة مستقرة خالية من المشاكل يُخالف التفكير في إقامة نظام للدفاع من منطقة مرهقة بالخلافات والذكريات الأليمة . فلا بأس إذن من أن نعالج الأمرين معاً وفي وقت واحد .

علينا أن نبدأ بالمشكلة العربية الإسرائيلية ، وهى تتضمن إخلاء المنطقة من أسلحة الدمار الشامل ، وأرجو أن نهتم بالموضوع أكثر من

الشكل ، وأن نركز على المفاوضة بين المتنازعين التي تُسفر عن السلام العادل الشامل .

وعلينا أن نطرح مشكلة الحدود العربية ، ولن نعجز عن إيجاد حل عادل يفتح الأبواب للتعاون الشامل الصادق .

وعند نظر النظام الأمنى العسكرى يجب أن ننظر إليه بعين عربية دولية ، إذ لا يجوز أن ننسى أن الكويت تحررت بفضل التحالف بين العرب والقوات الدولية ، فلا مناص من أن نعتبر مسألة الأمن العربية دولية ، كذلك تتم فى مناخ تعاون ورعاية للمصالح والمبادئ ، وهو أدعى للأمن والاستقرار بالمنطقة ، وأضمن لتهيئة مستقبل خالٍ من المفاجآت المزعجة .

لعله عالم جديد ، يقتضى رؤية جديدة ، وعقلية جديدة .

(١٩٩١ / ٣ / ٢١)

الهدف الأعلى

يجب أن نؤمن بأن الهدف الأعلى للعرب في هذه الفترة من الزمن هو التنمية الشاملة . إنه يمثل نقلة حضارية من التخلف إلى العصر في أنظمة الحكم والزراعة والصناعة والبيئة والتعليم والثقافة والصحة ومختلف الأنشطة التي تؤهل الناس لحياة إنسانية كريمة .

هذا هو الهدف الأعلى ، وماعداه من أهداف فذرائع تهيبىء له ، وتمهد وتزيل العقبات من سبيله ، لا أستثنى من ذلك إلا قضايا تحرير الأرض وتقرير المصير ، فهى أهداف فى ذاتها لا ذرائع وغايات لوسائل . أما النظام الأمنى فليس يهدف فى ذاته ، ولا مشكلة الحدود العربية ، ولا تطهير المنطقة من أسلحة الدمار الشامل ، وإنما تكتسب هذه القضايا أهميتها لما تحقق من استقرار ، ولا أهمية للاستقرار إلا باعتباره المناخ المناسب للعمل والتطور ، وإلاّ فما جدوى استقرار يقوم على الجهل والفقر والتأخر والتهاون فى احترام حقوق الإنسان ؟

إذن فالتنمية الشاملة هى الهدف ، وما لا يجوز تأجيله بحال من الأحوال . علينا أن نؤمن بأن أى نشاط يُبدل فى السياسة الخارجية فإنما نتعامل معه من أجل هذا الهدف الذى يعنى لنا الحياة الحقة ، كما أن التهاون فيه يعنى الانقراض والموت .

وقد تقتضى تصفية القضايا الخارجية وقتاً ، وقد تتعرض لخلافات فى
الرأى بين العرب أنفسهم ، أو بينهم وبين الآخرين ، فلا يجوز أن نسمح
بأن يؤخرنا ذلك عن البدء فى التنمية ، أو ما يُتاح منها على الأقل .

ربما تعذر إلى حين البدء فى تنمية فى نطاق تكامل عربى شامل ،
فيجب أن تبدأ فى نطاق الدول الثمانى المتتفة .

وعلىنا أن نتعاهد على ألا تتأثر التنمية بالخلافات السياسية التى قد
تعرض لنا بين حين وحين . جميع الدول تتفق وتختلف ، أما التعاون
الاقتصادى والاجتماعى والثقافى فيجب أن يمشى فى سبيله بدون
توقف ، باعتباره ينبوع الذى تستمد منه حياة الجميع متفقين ومختلفين .
معذرة . . لقد أصبح الانتظار ثقيلاً بعد أن عودتنا الحرب على إيقاع
سريع تتوالد فيه الأحداث مع كل ساعة ، بل مع كل دقيقة .

(٢٨ / ٣ / ١٩٩١)

التشاؤم والتفاؤل

لا يصح أن نسارع إلى التشاؤم إذا لم يحقق عالم ما بعد الحرب ما كنا نحلم به بالأسلوب والسرعة اللذين تصورناهما . لتأمل الأمور بالعقل والموضوعية .

فيما يتعلق بالكويت نتلهف على حُسنِ الجزاء ، ومقابلة الوفاء بالوفاء ، وكان أول واجبات الشعب الكويتي بعد التحرير هو أن يرد إلينا استحقاقاتنا ، ويفتح أبواب العمل لأبنائنا . لننسى الذات قليلاً ، ولنضبط اللسان كثيراً ، ولنفكر فيما حاق بالكويت وأهلها من كوارث لم يتعرض لمثلها شعب من قبل ، لنفكر في القتل والمغتصبين ، في خراب المؤسسات ، في الحرائق التي تلتهم الثروة وتلوث الجو وتهدد الحياة البشرية ، في انعدام الماء والكهرباء والمرافق الصحية والغذاء ، ألا يحق لهذا الشعب أن يغضب ويحزن ؟ . . ألا يحق له أن يؤدب من خانوه وقت الشدة ؟ . . ألا يحق له أن يؤمن نفسه وهو أقلية ضائعة بين وافدين لم يرعوا له حُرمة ؟ . . مهلاً يا سادة ، إنهم بشر ، وينبغي أن نتعامل معهم كما يليق بالبشر .

وفيما يتعلق بمشكلات المنطقة ربما حلمنا أن يجتمع مجلس الأمن غداة انتهاء الحرب بتنفيذ قراراته القديمة ، وليؤجّه إنذاراته إلى أيّ

مُتَعَنِّتٍ . إنما الحل المنشود لجميع تلك المشكلات هو الحل العادل الذى يحقق السلام والاستقرار . ولن يتم هذا إلا بالمفاوضات وتصفية الخلافات . وتنقية الصدور من الضغائن والذكريات الأليمة . إن الحال هنا لا تنطبق تمامًا على أزمة الخليج . لقد بدأت الأزمة بغزو ونهب وتحذُّ ، فجاء رد الفعل مثلها فى عُنفِهِ وحسمه . أما مشكلات منطقتنا فقديمية ، خابت فى حلها مساع كثيرة ، وَأَنَّ الأوان لاقتحامها وتصفيتها، وعلينا أن نمهد لذلك لما لدينا من اقتراحات وتصورات ، وألَّا نسمح للوقت بأن يضيع منا أو يسبقنا .

حقًا ، إن قضية الفلسطينيين بالذات هى الامتحان النهائى لصِدْقِ العالم الجديد ، ولكن لا يجوز الحُكْم على صدقه قبل أن يتبين لنا موقفه النهائى . وجميع الدلائل حتى الآن لا تدعو للتشاؤم .

(١٩٩١ / ٤ / ٤)

ثالثاً : وكما دلت حوادث الحرب على غبائه أبانت تحرّيات خصومه على خيانتة للذمة والأخلاق ، ففى ظل سيطرته هُتَكَتْ أعراض ، ونُهبت أموال ، وهُربت مليارات إلى الخارج باسمه وباسم أسرته .

رابعاً : أن الطاغية لم يتورع عن تهديد شعبٍ بالإبادة بعد أن سلط عليه مدافعه وطياراته وأسلحته المشروعة وغير المشروعة ، فكان ذروة جرائمه التى بدأت بدمار الكويت والعراق ، والخسائر فى الأرواح والأموال ، مما لا يحدث جزء منه إلا نتيجة للكوارث الطبيعية الكبرى ، كالزلازل التاريخية والبراكين .

حقاً إذا لم يُقَدَّم الطاغية ومعاونوه إلى محاكمة دولية فلا معنى للحديث عن القيم فى هذه الحياة .

(١٩٩١ / ٤ / ٨)

وقفة مع الذكريات

انفجرت أزمة الخليج في ٢ أغسطس ، وبلغت ذروتها بحرب مدمرة ،
وانتهت الحرب بتحقيق أهدافها الأولى - تحرير الكويت - وتفاعل الآن
عوامل تاريخية معقدة لتتمخض عن مستقبل جديد .

فماذا فعلت بنا في مصر ؟ وبماذا تعد ؟

سليبات :

- ١ - في عالم الاقتصاد بلغت خسائرنا المالية ٢٠ ألف مليون دولار .
- ٢ - ساءت علاقاتنا ببعض البلاد العربية على نحو لم يحدث من
قبل ، بل خرج مصريون على الإجماع الشعبى الكاسح في مصر نفسها .
- ٣ - لم يسلم قلب من الألم على ما حل بالكويت من دمار ، ولا على
ما حل بالعراق وشعبه .

إيجابيات :

- ١ - موقفنا من الأزمة القائم على المبادئ السامية ، والدفاع عن
المصالح المشروعة .
- ٢ - مبادرتنا إلى تحمل المسؤولية في تحالف مع إخواننا العرب والقوات
الدولية ، وأداؤنا المشرف في الحرب مما شهد له الجميع .

٣ - بدء تعاون عربي جديد مكون من الدول الثماني للتفكير في وضع نظام أمني ، وتكامل اقتصادي اجتماعي ثقافي ، مع ترك الباب مفتوحاً لمن يشاء أن ينضم إليه .

٤ - تنازل دول عربية صديقة والولايات المتحدة عن قَدْرٍ لا يُستهان به من ديوننا .

٥ - التحرك شرقاً وغرباً لحل مشكلات المنطقة تطلعاً إلى استقرار راسخ وعدل شامل .

٦ - اشتراك جميع البلاد العربية في اجتماع مجلس الجامعة (٣٠ / ٣ / ١٩٩١) مما يبشر بتصفية الخلافات ولو بعد حين .

٧ - تكثيف العناية بالتنمية الشاملة ، كما وضح ذلك في حديث السيد الرئيس مع رؤس تحرير الأهرام .

الفريضة الغائبة :

شد ما وددنا أن تحظى الديمقراطية بدفعة جديدة تناسب أهميتها في البعث الشعبي والنهضة المنشودة ، وبخاصة أن الدرس الأول لكارثة الخليج هو أنها ثمرة مرة لرجل مستبد ، ونظام استبدادي ، ولكن باب الأمل لن يغلق في هذا الشأن إلا ببلوغ المرام .

(١١ / ٤ / ١٩٩١)

مبادرة بوش

أخيراً جاءت مبادرة الرئيس « بوش » ، كانت مفاجأة بكل معنى الكلمة ، ولكنها مفاجأة سعيدة لأنصار القانون والشرعية والحل السلمي ، جاءت تبشر بعودة الحق ، مع تجنب المنطقة ويلات الخراب والدمار وإزهاق الأرواح بغير حساب .

والحق أنه لا أحد يؤيد العدوان ، وما من دولة إلا وطالبت بعودة الحق إلى أصحابه ، والكثرة الغالبة ترفض الحرب وترغب في الحل السلمي ، وفي مقدمة الجميع الشعب الأمريكي نفسه ، حتى لقد بدا حيناً من الوقت أنه لا يريد الحرب ، إلا الرئيس الأمريكي وقلة معه ، ولو كان « بوش » حاكماً مستبدّاً أو سيّد قراره لكان الأمر ونفذ المقدور ، ولكن ما العمل وهو رمز الديمقراطية في العصر الحديث . وسارت الأمور خطوة بعد أخرى ، فكانت زيارة الرئيس الأمريكي لدول شتى في الغرب والشرق ، فالقرار الأخير لمجلس الأمن ، ثم المبادرة .

وهنا يثور في الخاطر سؤال : تُرى أكانت المبادرة مفاجأة لنا - نحن القراء - فحسب ، أم لنا وللدول التي زارها ؟ أرجو أن يكون كل شيء قد تم الاتفاق عليه في الزيارة ، أو في الأقل ألاّ تسفر المبادرة عن تراجع عن مبادئ لا يجوز التراجع عنها .

إنى من دُعاة السلم ، ومن دُعاة التفاوض ، ومن دُعاة حل جميع مشكلات المنطقة التى تزعزع أمنها كل بضعة أعوام ، ومن دُعاة الاتفاق على نظام أمنى جامع مانع ، ولكن إدانة العدوان وإعادة الحق والشرعية من المُسلّمات التى لا يجوز المساس بها أو التساهل فيها .

إن مبادرة بوش مفاجأة سعيدة لنا ، نرجو أن تؤدى إلى الحل السلمى المنشود ، وتحقق الحق والعدل والسلام الشامل فى المنطقة .

(١٩٩١ / ٤ / ١٨)

نحو رؤية جديدة

نشأنا في عالم تمزقه الصراعات ، موزع بين إمبراطوريات متنافسة ، تهدده الحروب العالمية والمحلية ، وتقوم العلاقات فيه على تسلط القوى على الضعيف واستغلاله ، فكان هدفنا الاستقلال ، ثم المحافظة عليه ، والحد مما هو أجنبي ، وتوجس الشر من ناحيته .

اليوم نحن نستقبل مطالع عالم جديد ، عالم الاتصال السريع ، والمعلومات الوفيرة . . عالم تتقارب أطرافه ، وتتداخل أبعاده ، وتتداوب آراؤه وتقاليده ، ويشر بقيام وحدة جغرافية وحضارية .

حدّثت في هذا العالم معجزة التلاحم بين أيديولوجياته حتى لتوشك أن تتزاوج ليولد منها كائن جديد ، وقضى على الحرب الباردة ليحل محلها تعاون عالمي يستهدف التعاون والحوار .

ومما يدعو أكثر من التلاحم والتآزر أنه عالم مهدد بكوارج طبيعية ، كالتلوث ، والتغيرات الجوية ، والأمراض المستعصية ، والمخدرات ، مما يستحيل التصدي لها إلا على مستوى العالم ، وبجهد البشرية جمعاء .

علينا أن نفكر بأناة وموضوعية في اختيار الأسلوب المناسب للإسهام في هذا العالم الجديد ، والاهتداء إلى دور يناسبه ويناسبنا . . علينا أن نضع رؤيتنا القديمة تحت مجهر النقد والبحث . علينا أن نرحب بالأخذ

والعطاء ، وأن نتخلص من عقدة الخوف والانطواء ، وعلينا أن نجد
لأنفسنا مكاناً في النشاط الدولي يتسق مع مبادئه وتوجّهاته ، وألاً نجعل
من أصالتنا عائقاً للانطلاق ، أو سنداً لصراع يمكن أن يُحلّ بوسائل
أُخرى ، ولنجعل من جوهر أصالتنا هدية نسهم بها في إقامة البناء
الجديد .

إن هدفنا اليوم أن نتخلص من عقد الماضي المعوقة ، وأن نستمد من
مبادئه الخالدة الطاقة الدافعة للحاضر والمستقبل .

(١٩٩١ / ٤ / ٢٥)

دفاعاً عن الحرية والكرامة

تعرضت ثورة العراق الشعبية لقمع وحشى أودى بالآلاف إلى الهلاك ، ودفع شعب بكامله إلى الفناء ، واقتصرت ردة الفعل في أول الأمر على الدهول والسخط ، ثم بدأ حركة لِدِّ الضحايا بالمساعدات الغذائية والطبية ، وأخيراً أرسلت بعض القوات لجمع شمل المشردين وحمايتهم .

وقد طالب كثيرون القوات المتحالفة بالتدخل لإنقاذ أرواح الأبرياء ، وتحفظ البعض ، معتبراً ذلك تدخلاً في الشؤون الداخلية لدولة ، قد يمثل سابقة خطيرة يصعب التحكم فيها مستقبلاً .

ونحن نعترف بحق كل دولة في الاستقلال بشؤونها الداخلية ، والدفاع عن نظامها المشروع ، مما يمكنها من القيام بالتزاماتها الوطنية جميعاً ، ولكننا نرى أيضاً أن حق الدولة في ذلك يجب أن يتم في حدود وقود .

لأى دولة حقوق بلا شك ، ولكن عليها واجبات أيضاً . من حقوقها الهيمنة وتنفيذ القوانين ، وتحقيق الأمن والأمان ، والدفاع عن نظامها وحدود وطنها .

أما واجبها فهو أن يتم ذلك في نطاق حضارى ، وإطار إنسانى ،

والتزام باحترام حقوق الإنسان ، وغير ذلك مما تلتزم به بحكم عضويتها في هيئة الأمم المتحدة ، فلا يحق لها أن تكرر العنصرية ، ولا أن تضطهد أقلية سياسية أو دينية ، ولا أن تستعمل أسلحتها الثقيلة المعدة أصلاً للحرب والدفاع في قمع الحركات الشعبية ، وقتل النساء والأطفال ، وتخريب المدن .

نحن في زمن الأسلحة الفتاكة القادرة على محو المدن في أيام ، ولا يجوز أن يُترك الناس تحت رحمة الطغيان وجنون العظمة وهذيان الاستبداد .

وإذا انحرفت دولة عن الأصول فمن حق هيئة الأمم أن ترسل بعثات لتقصي الحقائق ، فإذا ثبت لها الانحراف ، فلا بد من اتخاذ الإجراءات المناسبة ، كالمقاطعة الاقتصادية وغيرها من الوسائل الرادعة ، وما ذاك في النهاية إلا دفاع عن حرية الإنسان وكرامته .

(١٩٩١ / ٥ / ٢)

الأصل والصورة

تمخضت حرب الخليج عن الكشف عن صورة عربية ، وإن لم تعكس حقيقة العرب جميعاً ، فهي تعكس حقيقة فريق لا يُستهان به منهم . فليُمنعُوا انظر في هذه الصورة بصدق وموضوعية إذا أرادوا حقاً أن يأملوا في مستقبل أفضل .

تلك الصورة تقول : إن بعضهم عندما مَلَكَ القوة والبأس اندفع إلى حل مشاكله مع إخوانه العرب بالغزو ، متخطياً كل وسيلة تفاهم سلمية .

وتقول أيضاً : إنه في غَزْوِهِ لم يَرِغْ للإِخْوَةِ حُرْمَةً ، ولا لضعف الخصم وعجزه عن الدفاع ، ولا لمبادئ الحرب الدولية ، فقتَلَ الأبرياء ، وهتكَ الأعراض ، ونهبَ الأموال ، وخرَّبَ مصادر الحياة والعمران . . . حقاً قد أثارَت الجريمة غضب جماعات منهم ، ولكن مظاهرات كثيرة خرجت تتعاطف مع المجرم ، حتى أفزعت العالم المتحضر دهشة واحتقاراً .

وتحكى الصورة : أنه عندما اندلعت الحرب مُنذرة بصراع بين قوات حقيقية تَحَادَثَ الجانبُ الأيِّم ، وانحسرت عنجهيته عن جهلٍ وجُبْنٍ وعجزٍ ، تاركاً قواته في أسوأ الظروف لتلقَى الموت أو الأسر .

وتقول الصورة : إن الجبان المهزوم حين واجه شعبه الغاضب استردَّ

أنفاسه واستأسد ، وأبرز قواته التي ضنَّ بها عن الدفاع عن وطنه لتقتل الشعب الأعزل والنساء والأطفال ، ولترمى بالجميع في هاوية الفناء . وغضب العالم المتحضر لما حلَّ بشعب العراق ، وهبَّ لإغاثته وحمايته ، على حين لم تقم مظاهرة واحدة في بلد عربي احتجاجاً على المذبحة ، وكأنَّ الأعين قد استصفت دموعها من قبل تعاطفاً مع المجرم ، فلم تبق دمة تذرفها على ضحاياها .

أمعنوا النظر في الصورة كما كشفت عنها الحوادث ، ولا ترجعوا بشاعتها إلى سجايا أصلية في الفطرة العربية ، فما هي إلا النتيجة الحتمية للتخلف الحضاري وسوء بعض أنظمة الحكم . الحقيقة أنَّ أعداداً وفيرة من العرب تعيش تحت وطأة الجهل والخرافة والقهر ، تحيا وتموت بلا أدنى مشاركة في تقرير مصيرها ، ولا تحظى بذرة من حقوق الإنسان ، كرامتها بلا وزن ، وحياتها نفسها بلا قيمة .

ألا فليُنظر العربي إلى صورته بصدق وموضوعية ، وليعقد العزم على الإطاحة بكل ما يعرقل مسيرته نحو الحياة السامية .

(١٩٩١ / ٥ / ٣)

الواقع والحلم

عجلة الحوادث من حولنا تدور ، ونحن نتابعها بشغف المتطلع إلى غد أفضل ، لا نريد لها أن تتوقف ، ويجب أن نشارك فيها بكل ما نملك من عقل وإرادة . . وزير خارجية الولايات المتحدة في نشاط دائم لدفع إجراءات السلام . . المسئولون يبحثون وسائل الأمن في الخليج . . وتتطأير في الجو آراء متضاربة .

نتابع ذلك باهتمام ويقظة ، ولكن ما يهمنا أكثر هو ما يحدث في الداخل ، أو ما نتوقع حدوثه . فموضع أى شيء يُعدُّ في الدرجة الثانية بالقياس إلى تنميتنا الشاملة ، أو نهضتنا الحديثة ، أو الحياة التي نشيد أركانها بعقولنا وسواعدنا وأصالتنا وانتمائنا ، من أجل ذلك أجرى لاهثاً وراء أخبار صندوق النقد ، ونادى باريس ، وأتحرى الأخبار عما يتم بيننا وبين ليبيا في مجال التعاون الاقتصادي والثقافي والإعلامي ، وهزنى بعمق ما نُشِرَ عن إعداد مشروع الهيئة العربية للإنتاج الزراعي بين مصر وسوريا وليبيا والسودان .

بالإضافة إلى ذلك قد وعدنا بوثبة إدارية ، ومزيد من الانسجام في الفكر والعمل دفعاً للإنتاج ، وذلك بإجراء حركة واعية هادفة في قيادات العمل . إن الشعور العام يوحي بأننا مقبلون على فترة نشيطة وحرارة

معًا ، ولكنه ليس الحرج الذى يفضى إلى التردى ، ولكنه الحرج الذى يمر فيه الإنسان من الشدة إلى الفرج ، وذلك بالإرادة والفكر والإبداع ، والنصر الحقيقى الذى يحققه الإنسان على نفسه بقهر سلبياتها ، وتحقق عوائق السوء التى تتحدى مسيرته .

ولم أعثر حتى الآن على كلمة بخصوص الإصلاح السياسى وتجديد البناء الديمقراطى ، فأرجو ألا ننسى أن رسالتنا الأولى فى المنطقة هى طرح نموذج للحياة السياسية يصلح أن يُحتذى كمثال لمن ينشد مثالا طيبا للحرية والعدالة الاجتماعية واحترام حقوق الإنسان .

(١٩٩١ / ٥ / ٩)

من حال إلى حال

سُئِلَ السيد رئيس الجمهورية عن وضع مجلس التعاون بين مصر والعراق والأردن واليمن ، فأجاب بأنه مُجَمِّدٌ الآن ، وقد أوحى الإجابة لى بأن الجمود قد يكون مؤقتاً ، وأنه قد يزول بزوال أسبابه .

وقرأت في يوم تالي عن أخبار تحسُّن محتمل في العلاقات بيننا وبين اليمن والأردن والسودان .

وسمعت من يعلق على هذا وذاك بامتعاض قائلاً : إننا لا نثبت على حال ، وإننا نتناسى الأخطاء ، بل الخطايا ، لتتلاقى بعد ذلك بالأحضان والقُبُل ، وكأننا لم نُفرغ على وجوهنا جميع ما تموج به قواميس الغضب من سب وقذف وهجاء . ويتساءلون : كيف نصدق بعد ذلك ما يقال ؟ وكيف نميز بين الصواب والخطأ ؟

والرأى عندي أن الحياة السياسية حياة ذات طابع خاص يتأبى على الجمود ، ولا يلتزم بالدوام ، لا يوجد في ساحتها قرار أبدي ، ولكن الدول الرشيدة تنظر دائماً إلى بعيد ، وتركز على الهدف الأكبر ، وفي سبيل ذلك تحتوى الخلافات إذا زالت أسبابها ، أو تغيرت ملابساتها . دائماً وأبداً توجد مصلحة عليا يجب أن تؤثر بالرعاية مهما تكن التضحيات ، ومهما اقتضت من مرونة وضبط للنفس وتجاوز للإساءة .

لم يكن ما بيننا وبين أى دولة عربية بأفطع مما كان بين ألمانيا وفرنسا ،
أو فرنسا وإنجلترا ، أو الولايات المتحدة واليابان . وها هم الأوروبيون
يخرجون من تاريخهم الدّامى متوجهين نحو تعاون وثيق ووحدة راسخة .

لتتعلم من السياسة كيف نغضب حين يجب الغضب ، وكيف ننسى
حين يتحتم النسيان ، وليس الأمر أمر عواطف وإخوة وأحلام تاريخية ،
ولكنه العمل الدائب الواعى لبناء مستقبل أفضل يقوم على التكامل
الاقتصادى ، والتوحد الثقافى ، والمشاركة فى العصر ، وتقديس العلم
والعمل فى ظل قيم سامية ، واحترام شامل لحقوق الإنسان .

فى سبيل ذلك نتقبل أىّ تغيير ، ونرحب بأى تفكير ، ونصفى أنفسنا
من أوشاب التجارب القاسية ، لنتجه إلى المستقبل بقلوب شغوفة
بالتقدم وبالمثل العليا .

(١٩٩١ / ٦ / ٦)

للكابوس نهاية

نرجو أن نكون قد اهتدينا حقاً إلى الطريق الصحيح . نرجو أن نستيقظ من الكابوس لنستقبل صحوة سليمة مبشرة بالخير ، وَاِعْدَة بالفلاح .

قد كان - وما زال - كابوساً ثقيلاً .

سَلَّ من تشاء من أفراد الشعب عن أى شيء ، فلن تجد إلاَّ جواباً واحداً ، كلما عرض حادث مما يعرض في أى مجتمع كشف عن داء مُتَأَصِّل أو قيمة منهارة ، يندلع حريق في عمارة فيفصح سلسلة وقحة من المخالفات تزرى بالقانون ، وتستهن بالأمن والأرواح .

يجرى التحقيق في قضية فتكشف بعض مستنداتها عن فساد بشع يُطَوَّق الأئمة من رجال المسؤولية والحكم الذين يتاجرون بمصالح الشعب .

وتجىء حادثة في مجال التربية فتتهتك أساليب للغش غير معقولة في أشرف بقاع الدولة ، وهى الجامعة .

هذه أمثلة ، أمَّا التقصى فأذهى وأمرُّ .

ماذا جرى لمصر ؟ لم نكن قط بهذا القدر من السوء ، حقاً لم نكن قوماً

مثالين ، ولكننا لم نكن كذلك عُصْبَةً مِنَ الأوغاد ، كيف نواجه عصرًا يُطالب أهله بالكمال في العلم والعمل والقيم ؟

ما هذه بفطرتنا الأصيلة ، ولكن تعاقب الحروب ، والأزمة الاقتصادية ، والتردد بين التجارب الشرقية والغربية ، وتضايف المَحَنِ على صفوة الأمة الذين ندعوهم بذوى الدخل المحدود ، حَمَلهم مالا يطيقون ، وانتزعهم من مبادئهم وانتمائهم . إنهم وغيرهم ضحايا الحكم الشمولى الذى يعنى بالمجتمع ويهمل الفرد . الحكم الشمولى الذى لا يذكر الفرد إلا وهو يطالبه بالتضحية بدون أن يقدم له قُدْوَةٌ هادية ، على حين يتمتع هو بجميع طيبات الحياة بصورة مستفزة لا ضمير لها .

فى وسط هذه الظلمات نرجو أن نكون قد اهتدينا حقًا إلى الطريق الصحيح . نرجو أن نستعيد توازننا ولو بعد حين . نرجو أن تسترد مصر صحتها وعافيتها ، وترجع إلى الإيمان بالعلم والعمل والقيم ، وأن تتمسك بوحدتها الوطنية لتواصل دورها فى بناء الحضارة .

(١٩٩١ / ٧ / ٢٥)

الوطن الكبيير

الأرض اليوم تموج بالمتناقضات . . يقودها العلم إلى آفاق مذهلة من المعارف ، والإنجازات تتجه بها إلى آفاق من التقدم والاستنارة والقوة ، ما بين باطن الكرة والفضاء ، مروراً بالإنسان والنبات والجماد . وتتكاثر عليها أخطار مروعة ، مثل التلوث ، والجفاف ، والأمراض ، والمخدرات ، والإرهاب ، توشك أن تنهركها من الأعماق ، أو تصيبها بالبلاء . ولكل وطن نصيبه من التقدم والخطر بحسب موقعه من الحضارة ، وهو مُطالَب بالتصدى لمشاكله بشتى الوسائل في حدود طاقاته ومواهبه .

ولكن عصرنا يتميز بوضع جديد ، هو أنه ينحو نحو التقارب والتوحد ، فأصبحت إيجابياته وسلبياته تسرى فيه ككُلٍّ واحدٍ غير معترفة بحدود ، إنه عصر التبادل بين الأطراف ، والاندماج في تجمعات ، وتقاسم الخير والشر ، بل الشر قبل الخير في كثير من الأحيان ، لم يعد به من أسرار إلا ما ندر ، وربما لا يبقى هذا سرّاً إلا إلى حين ، ثم ينتشر . ونحن في زمن المعارف العامة ، والتجارة الدولية ، والاقتصاد الدولي ، والحوار الأُمّى ، تجمعه قيم مثل حقوق الإنسان . وملتقى في مؤسسات ومؤتمرات ، وتتحداً أخطار واحدة تعمق شعورنا بالتوحد وضرورة التعاون الشامل . هيهات أن تحل مشكلة مهما بدت لدى أهلها محلية إلا

من منطلق النظرة الجامعة ، والتعاون الحق ، والانتفاء البشرى العام ،
وَنَحْطُ بِحُدُودِ الْإِنَانِيَةِ الْقَدِيمَةِ الَّتِي نَمَتْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحُدُودِ التَّقْلِيدِيَّةِ ،
وَالْمَصَالِحِ الْإِنَانِيَّةِ .

غرباء من يعيشون في هذا العالم بعقول متحجرة ، أو رؤية ذاتية ، أو
أهواء عنصرية ، أو ميول تعصبية ، أو أسرى للصغائر والأحقاد العابرة .
وحسبنا ما ارتكبنا من أخطاء في أيام العزلة ، وما سفكنا من دماء غزيرة
. . وَرَجَاؤُنَا إِلَى اللَّهِ أَلَّا تَقْلَتَ مِنْ أَيْدِينَا فُرْصَ النِّجَاةِ ، وَأَلَّا يَتَعَثَّرَ فِي
ضَمِيرِنَا الشُّعُورُ بِالْوَاجِبِ الْإِنْسَانِيِّ .

(١٩٩١ / ١١ / ٧)

تجربة الجزائر

عند الجولة الأولى من الانتخابات الجزائرية طرحت الدولة الجزائرية نفسها مثلاً وقدوة في الديمقراطية والنزاهة ، فاز الخصم بأغلبية ساحقة ، وأصبح على بُعد شبر من الأغلبية المطلقة النهائية ، وسقط الحزب الحاكم سقوطاً لا يسمح به عادة إلا في البلاد العربية التي تتمتع بالحضارة والحرية ، وقلنا إنه كخير وبُشرى لجميع الأوطان العربية المتطلعة للحرية والكرامة الإنسانية . وإذا بنكسة مزللة تَنقُصُ على الديمقراطية الوليدة في مهدها ، فتغرق الفرحة في خيبة وكآبة ، ويعود الاستبداد ليطل بقرنيه ونظراته الوحشية ، وكأنها لم يكفه ما فعل بالبلاد حتى دَفَعَهَا إلى شفا الإفلاس ، وسفك من دماء أبنائها ماسفك .

وقد كشفت هذه النكسة عن حقيقة غريبة ، وهى أن بعض المستبدين يتجهون نحو الديمقراطية أملاً في إضفاء شرعية شعبية على استبدادهم ، لا إيماناً حقيقياً بالديمقراطية ، فإذا خذلتهم الديمقراطية كشروا عن أنيابهم وعَصَفُوا بها ، وأزاحوا النقاب عن وجههم القبيح . وما الديمقراطية إلا الحوار الصادق ، واحترام الرأى الآخر ، والتسليم برأى الشعب واختياره الحر ، لا ننكر أن الحزب المهزوم يتصور أن في انتصار خصمه نهاية العالم وخراب الوطن ، ولا ننكر أنه كثيراً ما يفسر ذلك بجهل الشعب أو سذاجته ، ولكن كل شعب هو أذرى بما يصلح

له ، وأبسط الشعوب تدرى ما يصلح لها ، وما أكثر المستبدين الذين نصبوا أنفسهم أوصياء على شعوبهم ثم ظهر أنهم هم الذين كانوا في حاجة إلى الوصاية ، ولعلنا لم ننس بعد هتلر ، وموسوليني ، وإمبراطور اليابان ، على حين أننا لا نذكر مبايعة شعبية حرة خاطئة ، ولنفرض أن شعب الجزائر قد أخطأ ، فلماذا لا نتركه يتحمل مسئولية خطئه ونمنحه الفرصة لتصحيحها ؟

ولو كانت التجربة السابقة للانتخابات ناجحة لوجدنا لمن يريد العودة إليها أو لمثلها شبه عُذر ، ولكنها كانت تجربة فاشلة فاسدة ، متنكرة لحقوق الإنسان وكرامته .

وإذا قُدِّرَ للجزائر أن يحكمها مستبد جديد فقد يبرر سياسته بأسباب كثيرة ، ولكنه لن يزعم أبداً أنه يمثل الشعب ، بعد أن أعلن الشعب كلمته صريحة عالية .

(١٩٩٢ / ١ / ١٦)

أهمية السلام

مؤتمر السلام فرصة متاحة لتغيير وجه الحياة في شرقنا العربي ، فهو يَعدُّ بحل مشكلات كاد يصيبها الزمان ، ويهيء الجو لتطور أسرع نحو حياة أفضل للجميع .

وقد ذهب إليه الجانبان - العربي والإسرائيلي - على هيئة غير محمودة ، وبعيدة عن الكمال المنشود . إسرائيل تبدو متأففة ، وكأنها تُساق إلى السلام وهي كارهة . . أسدلت قُوَّتها على عينيها ستارًا ، فهي لا ترى إلا ما بين يديها ، ولا تنظر إلى بعيد . والعرب لغة واحدة وقلوب شتى ، لم يتطهروا بعد من مأساة الخليج ، ومازال بعضهم يعيش في غياهبات الماضي ولا يعترف بحركة الزمن . . والحقيقة التي يجب ألا يعترها الشك هي أن السلام هبة طيبة لمصلحة الطرفين . . ولا أظن أن هذه الحقيقة تغيب عن إسرائيل ، حتى ليُخَيَّلَ إلى أحيانًا أنها تصطنع النفور منه لتدارى رغبتها الشديدة فيه .

أما الجانب العربي فلا أظنه في حاجة إلى مَنْ يذكره بأن أى مفاوضات إنما تبحث عن حل وسط ، وأنه لا مفر من المرونة عبر الدفاع عن حقوقهم المشروعة ، وأن المستقبل قد يحمل احتمالات كثيرة يضمن بها الحاضر ، ولا يغيب عنكم أن ذوى الإرادة ربما حققوا في السلم ما تعجز

أى حرب عن تحقيقه ، ولا تنسوا فى هذا المجال مثلك ألمانيا واليابان .
والعرب ككُل فى حاجة إلى السلام ، لا تقل عن حاجة دول المواجهة
إليه . يجب أن تزول العلة التى يعتل بها كل طاغية أو متخلف فى
المنطقة . نريد شرقاً عربياً بلا قضية معلقة تستنفد أمواله ، وتهلك أرواح
أبنائه ، وتهب العذر تلو العذر لاستبعاده . نريد شرقاً عربياً لا يغطى
صوت المعركة على أصوات بنيه فى المطالبة بحقوق الإنسان فى الحُكم
والعلم والثقافة ، كما نطالب بمستوى الحياة التى تستحق هذا الاسم .
فى عقب السلام لن توجد معركة إلا المعركة بين الطغيان والحرية ، بين
التخلف والحضارة .

فى أعقاب السلام تبدأ ملحمة البطولات العربية الحديثة .

(١٩٩٢ / ١ / ٢٣)

طريق العدل

نحن نرفض الإرهاب وندينه . لا نُبرره لأى سبب من الأسباب . هذا هو موقفنا منه أيًا كان مصدره : جماعات سياسية ، أو دينية ، أو دولاً عربية ، أو غير عربية . وهو كفيل بطرد من يثبت اتهامه به من الجماعة البشرية ، واستحقاقه الجزاء العادل الذى يراه العالم مناسباً لإزهاق أرواح الأبرياء من النساء والأطفال والرجال .

وكلنا اطلَّعنا على نبأ الاتهام الذى وجهته الولايات المتحدة إلى ليبيا ، ومطالبتها بتسليم اثنين من المواطنين الليبيين لمحاكمتها بتهمة إسقاط طائرة أمريكية بركابها الأبرياء فى جو « إسكتلندا » .

ومن حق الولايات المتحدة أن تتهم أى فرد أو هيئة إذا وجدت من الأدلة أو الشبهات ما يبرر الاتهام . أما المطالبة بتسليم المتهمين إليها لتحاكمهما فأمر لم نسمع بمثله من قبل ، فالمواطنون فى كل دولة تحدد قوانين بلادهم طرق محاكمتهم إذا وُجِّهَتْ إليهم تهمة من التهم ، وليس من بين تلك القوانين ما يسمح بتسليمهم إلى دولة أجنبية لتحاكمهم بنفسها .

من أجل ذلك دهشنا لمطالبة الولايات المتحدة بما طالبت به ، كما دهشنا أكثر لإصرارها عليه ، وكما دهشنا أكثر وأكثر لقرار مجلس الأمن

فى ذلك الشأن ، حتى تُحِيلَ إلينا أن هناك تفاصيلَ غائبة عن المتابع
للأنباء .

وفى مقابل ذلك نجد موقف ليبيا فى غاية من الوضوح ، والرغبة فى
إيجاد حل للمشكلة بعيدًا عن الاستفزاز ، وفى إلتاز الشرعية الدولية
والعدل . إنها لم تُمنع فى المحاكمة ولا فى تسليم المتهمين ، على أن يتم
ذلك فى رحاب محققين وقضاة محايدين ، كيلا يكون الخصم هو الحكم .

وتلك استجابة مرنة جدًا ، تنم عن رغبة حقيقية فى معرفة الحقيقة
وتحمّل المسؤولية ، ولعلها أيضًا لا تخلو من ثقة بالنفس وشعور بالبراءة .

وحتى كتابة هذه السطور نحن لا ندرى عمّ سينجلى الموقف ؟ وكل
ما نرجوه أن يغلب صوت العقل والعدل ، وأن يتوافق الحل النهائى مع
الآمال المبهّرة بعالم جديد حقًا ، حتى لا نخسر العدل والأمل معًا .

(١٩٩٢ / ٢ / ٦)

كيف نحافظ على هويتنا ؟

سألني سائل : كيف نحافظ على هويتنا ؟ وهو سؤال يجيء في وقته ، لأكثر من سبب من هذه الأسباب ، ما يدور في وطننا من جدل حول الأصالة والمعاصرة ، ومنها اتجاه العالم نحو التواصل بشتى الوسائل التي ألغت الزمن والحدود ، مما جعل الفرد ريشة في مهب رياح من الآراء والمعتقدات والثقافات .

ونحن نُؤكِّد فتنشأ معنا هويتنا ، وتأخذ في النمو من خلال الأسرة والمدرسة والمجتمع والثقافة ، ولو تخيلنا أنه يمكن أن نقيم بيننا وبين العالم سداً خلصت لنا تلك الهوية في راحة بال ، ولجّرى الزمن وخَلَفْنَا وراءه أثراً من الآثار هوية منه ، فيها القليل مما يصلح لكل زمن ، والكثير مما تجاوزه الزمن .

ولذلك فإن السؤال الحق ليس هو : « كيف نحافظ على هويتنا ؟ » ولكنه هو : « كيف نُثرى هويتنا ببدايات الزمن بدون أن نفقد من هويتنا الأصلية ما يصلح لكل زمن ؟ وكيف ندججه في ذاتنا بحيث يَنْتُج عن الزواج بين الاثنين كلُّ مُوَحَّدٍ لا تناقض فيه ولا اضطراب ، بحيث يمكن أن نطلق عليه بحق اسم هويتنا الجديدة ؟ » . ولا عيب أن تكون لنا هوية جديدة في النطاق المشار إليه ، بل لا عيب أن يكون لنا في كل

عصر هوية تناسبه ، وما العيب إلا أن نتخلف عن العصر فنصبح من
 ذكريات التاريخ التي لا يَهْبُّ لها مكاناً إلا في متاحفه .

وطريق ذلك أن نجعل من التفكير فريضة ، ومن الكسل معصية ،
 فمن الكسل أن تبقى على عادة أو تقليد أو فكرة أن لها أن تتطور أو
 تتغير، ومن الكسل أن تضمن بتفكيرك واختيارك ونقدك لما يعرض لك من
 آراء ونظريات وسلوكيات قد تجد فيها الخير كل الخير ، أو التقدم كل
 التقدم ، والحضارة الحقيقية ما هي إلا استيعاب وأخذ واختيار وعطاء .
 ويتم ذلك في حركة دائمة ، وفي شجاعة فائقة ، وفي لقاء إنسانى
 شامل ، والويل كل الويل لمن يتوقف عن الحركة .

(١٩٩٢ / ٢ / ١١)

الطريق العربى

أرجو أن يتفرغ العرب فى أقرب وقت ممكن لتقرير مصيرهم فى الحياة بما تعنيه من رؤية حديثة فى الفكر والعمل ، يجب أن يعيشوا عصرهم كما يجدر بأمة ذات ماضٍ مجيد . . أمة مصممة على أن يكون مستقبلها مثل ماضيها عزة وتقديرًا ، لذلك يجب أن تنجح أولاً فى تخطى همومنا الراهنة بعد تسويتها بما يضمن لنا التفرغ للقضايا الأهم ، القضايا المصرية المستقبلية ، ويجب أن يتم ذلك سريعًا ، وبالدرجة التى تهم قومًا يؤرقهم التأخى ، ويشغلهم حقل التقدم والحضارة ، فلا يجوز أن تطول أو تتعقد المشكلة الليبية ، ولا أن يتأخر تاريخ استئناف العراق لمسيرة البناء ، ولا أن تظل مشكلات الحدود معلقة ومثيرة للفتن . قد يعد أناس حل تلك المشكلات هدفًا كبيرًا ، وإنجازًا - إذا تم - خطيرًا ، على حين أنه فى نظرى ليس إلا تنقية المناخ العربى من الشوائب ، تمهيدًا للتعاون المخطط لخلق نهضة شاملة ، ولكن ما أبعاد تلك النهضة الشاملة ؟

هناك بُعد ثقافى يجب أن يبدأ بإحداث ثورة فى التربية والتعليم ، يكون هدفها خلق مواطن يجمع بين قيمه الخالدة وبين التوجه العصرى فى العلم وتطبيقاته ، والتأهب للعمل فى الحياة المعاصرة بكل متطلباتها ، مع تربية العقول تربية حرة تنشد الأصالة والتحرر والاستقلال والإبداع .

وهناك بُعد اقتصادى لتحقيق التكامل بين البلاد العربية من المحيط إلى الخليج ، بهدف تحقيق ثورة زراعية ، وخلق قاعدة صناعية ، والتعايش مع العصر بروحه وأساليبه ، والتعاون مع العالم باعتبارنا أمة كبيرة قادرة على العطاء مقابل ما تأخذ ، وأنه لا يُسْتَغْنَى عنها كعضو نافع فى الأسرة البشرية .

وعن طريق هذين البُعْدَيْنِ يتشكل نوع من الوحدة السياسية التى تُناسب البلاد ، بعيدًا عن أى حساسية ، أو ادّعاء للزعامة ، أو إثارة للفرقة والمنافسة .

إنَّ أىَّ يومٍ مرَّ بدون تحقيق جزئية من ذلك الحلم يجب أن يُعد مفقودًا من حياة العرب .

(١٩٩٢ / ٤ / ٣٠)

الماضى والحاضر فى عالم متغير

فى يوم الاثنين ٣ / ٨ اطلعتُ فى صُحفنا على عنوانين هامين :

الأول : عن أحياء مصر الإسلامية وما تعانى هياكلها وآثارها من أحوال متردية ، وكيف تحولت إحدى بوابات مجدها التاريخية إلى مقلب قمامة .

والثانى : عن انعقاد مؤتمر ثقافى لبحث الثقافة العربية فى عالم الغد المتغير ، والاتفاق على ميثاق يلتزم به المثقفون ، هكذا اجتمع البكاء على الأطلال مع التطلع إلى المستقبل فى وقت واحد . وبالحق والصدق ، فإننى لم أخطئ من العنوانين إلا بالكآبة .

لا أدري كيف أُدافع عن أحيائنا الأثرية ، فقد قيل فى ذلك كل ما يمكن أن يُقال . فضلاً عن ذلك فإننى ابنٌ من أبنائها ، نَعِمَ بملاعبها فى ربوعها الطيبة فى زمن كانت تكنس فيه فى النهار الواحد مرتين ، وتُرش مرتين ، وتنضح جوانبها بعبق الماضى المجيد ، ماذا يحدث لها اليوم ؟ ماذا أصابها فى العصر الذهبى للسياحة ؟ وهل تغنى فى الدفاع عنها لغة المال والاقتصاد ؟ أو حسبنا حنين الذكريات ؟

أما المؤتمر الثقافى فقد انعقد ، وألقيت كلمات طيبة كالعادة ، وأعلن الميثاق ، وانفضَّ السَّامرُ ، وأُسدِلَ الستار . أى ثقافة ؟ وأى عالم

متغير؟ . الثقافة هي الثقافة ، هي الإنتاج أولاً وأخيراً ، والعالم لا يكف عن التغيير ، ولا الثقافة تكف . وأما الميثاق فهل كان ينتج المبدعون ويفكر المفكرون بدون ميثاق وإن لم يُعلن في مؤتمر ؟ هل كانوا يهيمون في الضلالة حتى هَلَّ عليهم الميثاق بنوره ؟ وأي قوة تحمل مُبدعاً على الالتزام بغير ما يوحى إليه به ضميره ؟

أفهم أن يجتمع المثقفون لعرض مطالبهم ، وأما أكثر المطالب المعلقة فهي : إعادة النظر في القوانين الخاصة بحرية الفكر ، وإزالة العقبات المالية والجمركية التي تُعرقل التبادل الثقافي ، وتشديد عقوبة التزوير ، والتبادل الثقافي من خلال المعارض والزيارات ، وإنشاء مؤسسة على مستوى الجامعة العربية للترجمة من وإلى اللغة العربية ، وتقوية ساعات البث الإذاعي والتلفزيوني في مجال الثقافة ، وإنشاء لجنة دائمة من وزراء الثقافة والإعلام والتربية في البلاد العربية لمواولة الثقافة بالرعاية والعناية .

وأعتقد أنه توجد مطالب ثقافية أكثر من ذلك ، وهي جديرة بالندوات والمؤتمرات حقاً .

(١٩٩٢ / ٩ / ١٧)

حركة مباركة

الانتخابات الكويتية حَدَّثَ تاريخي كبير ، وهو يكتسب خطورته وأهميته لوقوعه في المنطقة العربية ، وكأنه ثورة على تقاليدھا السياسية . الحديث بكل بساطة أنه جرت انتخابات بين المعارضة وأنصار الحكومة ، ففازت المعارضة فوزاً ساحقاً ، وانهمزت الحكومة هزيمة ساحقة ، واعترف بهذه النتيجة ، وشُكِّلَت الوزارة الجديدة على أساسها ، بذلك بدأت الكويت مسيرتها الديمقراطية الجديدة بكل شجاعة وتفاعل مع العصر والعالم الجديد ، ولم تتردد في الاعتراف بالواقع برغم غلبة التيار الإسلامي عليه ، مقررّة أن تمضي إلى مصيرها من خلال واقعها ، وبدون خوف من متطلبات الحياة ، وقد ذكرني ذلك بأول انتخابات لنا عام ١٩٢٤ ، والتي خاضها الشعب في أعقاب ثورة ١٩١٩ ، وقبل أن يُوجد من بين يَنيه مَنْ تسول له نفسه تزوير الآراء ، واختلاس الثقة الكاذبة ، وإقامة حُكم على أساس غير قانوني . . تذكرتُ ذلك ، وتذكرتُ كيف أن رئيس الوزراء الذي أجرى تلك الانتخابات قد سقط فيها أمام فرد من الشعب ، وتذكرت - والحسرة تملؤني - أننا لم نظفر بعد ذلك بانتخابات حرة إلا لحظات عابرة من حياتنا المملوءة بالطغيان .

وذلك الموقف الكويتي يوجب علينا أن نوجه الشكر والثناء إلى دولة الكويت على سلوكها الحضاري وسبقها إلى تلبية نداء العصر .

ونشئ بكل حرارة على شعب الكويت الذي هرعت أغلبيته الساحقة إلى صناديق الانتخاب معلنة بذلك عن إيجابيتها وانتهاها والتزامها بالواجب الوطنى ، كما نحى للمُتظاهرات من نساء الكويت اللاتى طالبن بحقهن فى التصويت والترشيح . وبعد ، فإننا سنتابع حكومة الكويت ومجلسها النيابى بالثقة والاهتمام ، ونرجو لهما نجاحاً وتعاوناً مثمراً فى خدمة الكويت والقضايا العربية ، فإن نجاح هذه التجربة يتطلع إليه جميع الأحرار فى العالم العربى .

(١٩٩٢ / ١٠ / ٢٢)

الحرب والشرعية الدولية

الضربة التأديبية الأخيرة للعراق تثير جملة من الأفكار المتضاربة ، ولم يكن الأمر كذلك حيال الحرب الأولى الخاصة بتحرير الكويت . في الحرب الأولى انقسم العرب إلى فريقين ، فريق يدين الغزو ويؤيد قرار مجلس الأمن ، ويتطلع إلى مولد عالم جديد ، وفريق يؤيد القرار العراقي ويستنكر ويتهم قرار مجلس الأمن . اليوم لا يوجد عربي مُستقرّاً في موقفه من الأحداث ، حقاً إنه ضد الاعتداء على الكويت ، وضد العبث بشروط الهدنة ، ولعله يقر الضربة التأديبية ، ولكن مع تحفظات وتساولات . فمجلس الأمن لا يحافظ على كرامة قراراته الدولية بقوة واحدة ، ولا بحزم واحد ، وقد استهانت بقراراته ثلاث دول في وقت واحد تقريباً ، فعامل الصّرب وإسرائيل باللطف ، ولم يتجاوز معها العتاب ، ولكنه مع العراق كان مثلاً من أمثلة الحزم ، والعمل في ناحية الحفاظ على الشرعية الدولية ، وفي الأخرى موقف يذكرنا بالعالم القديم وسياساته القائمة على المصالح والتآمر . لا نريد أن تتلاشى آمالنا في انتظار العام الجديد . لا نريد أن يتبدد حلم الشرعية الدولية بعد أن أفعم ملايين القلوب بالتفاؤل .

وثمة اختبارات أمام الشرعية الدولية ، يتوقف بقاؤها على النجاح في حلها ، هي :

١ - المبتعدون الفلسطينيون .

٢ - البوسنة .

٣ - تطهير العالم من أسلحة الدمار الشامل بدون استثناء أو تهاون .

وعلى أى حال سندرك حقيقة نوايا مجلس الأمن ، سواء وافقناه عليها

أم لم نوافق .

أما اللغز الذى سيبقى مستعصياً على الفهم فهو « صدام حسين » ،
لقد حَارَ الناس فى فهم تصرفاته ، وذهب بهم الظن كل مذهب . والحق
أن مرجع تلك الحيرة يقوم على فرض أنه حاكم وطن ، وأنه يجوز على
الأقل الحد الأدنى من قُدرة الحاكم وخبرته . ولكنى لم أعد أؤمن بذلك ،
فصدام حسين ومن هم على شاكلته قد يملكون المهارة للاستيلاء على
السلطة إذا ملكوا القوة اللازمة ، ويتربعون على كرسى السلطان بلا
مؤهلات حقيقية تؤهلهم للعمل وتحمل الأمانة ، من أجل ذلك تصدر
منهم ألوان من السلوك غير المعقول الذى لا يصدر إلا عن الحمقى
والمجانين . ويحار الناس فى التفسير لأنهم يتصورون فيهم الحنكة
والحكمة ، وما هى فى الحقيقة إلا أفعال منحرفة تدفعها حسابات
خاطئة ، تصدر عن عقل أجوف ومستبد .

(١٩٩٣ / ١ / ١٩)

مصر والسودان

إنى من جيل اعتُبر مصر والسودان وطنًا واحدًا ، فمصر هى السودان الشمالى ، والسودان هو مصر الجنوبية . وكلمتا مصر والسودان استقرتا فى وجدانى ككلمة أو كلمتين متكاملتين ، كما نقول الليل والنهار ، أو خطوط الطول والعرض . من أجل ذلك جاء الخلاف على الحدود صدمة واحدة قاسية ، ثم كانت شكوى السودان إلى مجلس الأمن أقسى وأفظع .

ولعل أول سؤال طرأ على ذهنى هو : « كيف لم تختتم المفاوضات بين الشقيقتين بالتوفيق ؟ » . أما السؤال الثانى فهو : « إذا خان التوفيق الشقيقتين فأين الجامعة العربية ؟ » أليس المعقول أن تكون الجامعة أول من يحتكم إليها أعضاؤها ؟ . على الأستاذ أمين الجامعة أن يدرس تلك الحال بما عُرِفَ عنه من مقدرة وحُب للعرب والعروبة . نحن نأمل دائماً أن يكون للجامعة وزن فى نظر العالمين ، ولكن لا بد أن يكون لها أضعاف ذلك الوزن فى نظر أبنائها . ولعل ذلك يجعلنا نفكر من جديد فى إنشاء محكمة عدل عربية ليكون لها رأى الفاصل فيما ينشب من خلاف بين دولتين عربيتين أو أكثر .

نحن اليوم نواجه عالمًا جديدًا ، ومن أتعس الفروض أن نواجهه كدول

منفصلة ، أو - وهو الأذهى والأمر - كدول متنازعة بسبب الحدود أو غيرها . وأعتقد أنَّ ما نتفق فيه من تعاون اقتصادى وثقافى وسياسى أهم وأكثر مما نختلف بشأنه ، فلماذا لا نعتمد على ما نتفق فيه ، ونؤجل الخلافات لتبادل الرأى بين الإخوة وللزمن ؟

وفى كلمة أخيرة : إنَّ التاريخ لن يغفر لأى مواطن - من مواطنى مصر والسودان - بوسعه أن يصلح بين الطرفين ويتهاون فى ذلك .

(١٩٩٣ / ١ / ٣٦)

العرب في عالم الغد

عالم جديد يتشكل ساعة بعد أخرى ، وقد يُسفر في الغد القريب عن تكتلات اقتصادية عملاقة ، كما يحدث بين الأمم الأوربية ، وكما يحدث بين الولايات المتحدة وكندا والمكسيك . وقد تنشأ تكتلات جديدة ، بل حتى الأمم التي تنزع اليوم نحو التحرر والانفصال قد ترى من الحكمة في القريب العاجل أن تعود إلى تكتلاتها بأسلوب جديد ، أو تنضم إلى تكتل من التكتلات القائمة إذا ما وجدت ذلك محققاً لمصلحتها على وجه أفضل .

أعتقد أن ذلك لا يغيب عن الفكر العربى ، ولا يغيب عن الجامعة العربية . وثمة صورتان يمكن تخيلهما لحياة الأمم العربية :

الأولى - وهى الحلم - أن تتربط جميع الأوطان العربية في تكامل اقتصادى كبير يجعل منها وحدة اقتصادية ذات شأن ، ويكون ذلك أساساً لنهضة تعاونية فى الثقافة والبحث العلمى ، وإيذاناً بدخول العروبة العصر الحديث ، حاملة كافة مؤهلاته التى تقوم أساساً على الاقتصاد والعلم ، بالإضافة إلى القيم السامية التى تستمدّها من تراثها المجيد .

هذه هى الصورة التى يجب أن نعمل على تحقيقها دفاعاً عن وجودنا

وحياتنا وكرامتنا ، والتي يجب أن نزيل من سبيلها جميع المعوقات
والسلبات التي تؤخر تحقيقها أو تؤجله .

الثانية - أعنى الصورة الثانية - الواقع المؤسف الذى يقوم على التمزق
والخلافات ومرارة الذكريات المؤلمة . إنها صورة شديدة الانفعال ،
وانفعالاتها تدعو للخصومة والنفور والتمزق .

ومصيرنا سيتقرر نتيجة للصراع بين العقل وما ينادى به ، والانفعال
وما يدعو إليه .

وقد يكون من الحكمة أن نبدأ التعاون والتكامل بين الأوطان التى لا
يوجد تناقض بينها ، أو التى تستطيع أن تحقق تناقضاتها وتحل مشاكلها
وتتناسى ذكرياتها المرة .

يجب أن نبدأ ولو بوطنين أو ثلاثة أو أربعة . إن نجاح التعاون بينها
سيكون داعياً للآخرين للانضمام والاقتناع بصوت العقل وحكمته .

(١٩٩٣ / ٣ / ١٩)

مراجعة شاملة

يندر أن تجد قلباً مطمئناً هذه الأيام . يندر أن تجد شخصاً راضياً عن يومه ومؤملاً خيراً في غده ، وقد صدمنا الإرهاب ولا شك ، ولكنه ليس مشكلتنا الوحيدة . وهناك رغبة صادقة في إعادة النظر في كل شيء ، وهي ناشئة عن إحساس بأن أشياء كثيرة قد تجاوزها الزمن وأفرغها من أى مضمون . . نعم ليس الإرهاب بمشكلتنا الوحيدة ، فعلى سبيل المثال لا الحصر : مازال الخلاف قائماً حول الإصلاح السياسى ، والإصلاح الاقتصادى ، ومازال كثيرون يفسرون تعثر الإصلاح الاقتصادى بنقص فى الجوانب السياسية .

هل نستطيع أن نحرر الاقتصاد بأيدي تربت ونمت وأزهرت فى الشمولية؟ . ونطالب بالاستثمار وتشجيعه فى الوقت الذى ترتفع فيه الشكوى من عراقيل مازالت قائمة فى سبيل الاستثمار ، بالإضافة إلى أن دستورنا وُضِعَ لزمين مَضى ، أما زماننا الحاضر فلا دستور له .

وعالمنا الخارجى لم يعد بالصفاء الذى كانه . . الوفاق العربى يحتاج إلى ترميم طويل أو إعادة بناء . وما حصل من توتر فى العلاقات بين مصر والسودان ، وبين مصر وإيران يحتاج إلى حكمة ثابتة ومسامحة حميدة .

نحن في حاجة إلى إعادة نظر في كل شيء : إلى قراءة الواقع قراءة صحيحة . . إلى مواجهة الحقائق بشجاعة . . إلى بناء سفينة تصلح لمواجهة أى طوفان .

وثمة بوادر تدعو للأمل ، فأقلام رصينة تحبذ التغيير ، وأخرى تتحدث عن ائتلاف ، وثالثة عن حوار ووساطة رشيدة . . هذه بشائر تسر ، نرجو لها التوفيق ، وأن تتسع لتشمل كل شيء ، وأن تفسح المجال أمام المخلصين من أبناء هذه الأمة ليبدءوا نهضة حقيقية تجمع بين أسمى المبادئ الخالدة ، وأحدث أساليب العصر .

(١٩٩٣ / ٤ / ٢٩)

ثمن السلام

عندما يرد ذكر منطقتنا العربية على مستوى العالم يرد في حالة من الأحكام المتناقضة ، فهي منطقة من العالم الثالث ، متأخرة حقاً ، ولكنها مستودع لثروات ضخمة ، وتجمع شعوبها بين قومية واحدة ، وخلافات كثيرة تثير من العداوة مالا يكون إلا بين القوميات المتناحرة . وهي تاريخ يجمع في غضونه بين أكبر فلسفات السلام والإنهاء البشري وبين سعيه الحثيث ليكون اليوم مخزناً للرؤوس النووية والمبيدات البيولوجية . وبرغم أن نسبة الأمية بها تُعد من أكبر النسب عالمياً فهي في مقدمة مناطق العالم إنفاقاً على التسلح واقتناء أجهزة الهلاك .

لذلك لم يكن غريباً أن تكون منطقتنا أول هدف استكشافي لوزير خارجية الولايات المتحدة ، وأن يُقال عن رحلته إنها كانت من أجل السلام واستطلاع مواقف الأطراف المتنازعة منه ، وبحث قضية المُبْعَدِينَ باعتبارها أكبر عائق يعترض مجرى المفاوضات اليوم .

. وإنه لمن حُسن الطالع أن تواصل الإدارة الأمريكية اهتمامها بقضية السلام برغم تركيزها المُعلَن عن الشؤون الداخلية ، أما من ناحيتنا فالسلام يجب أن يكون في مقدمة اهتماماتنا الخارجية ، ولن يقل عن ذلك بالنسبة لاهتماماتنا الداخلية ، فهو ضرورة للتنمية التي هي شغلنا

الشاغل ، ولا يختلف الأمر بالنسبة لتنمية المنطقة ككل . يجب أن نتفرغ للتنمية الإقليمية ، وتسوية الخلافات العربية ، والاندفاع في تحقيق التكامل الاقتصاد الذى يمثل التنمية الشاملة للمنطقة كلها .

لذلك نرجو أن يوجد الحل المناسب لقضية المُبْعَدِين الذى يرضيهم بصفة خاصة ، ويرضى العرب بصفة عامة . يجب أن يوجد هذا الحل لنبدأ مفاوضات السلام فى أقرب فرصة . السلام ضرورة لا بديل لها ولا تأجيل . وقوانين الحياة لا ترحم المترددين .

(١٩٩٣ / ٥ / ١٢)

ما يليق وما لا يليق

ماذا تقول في أمة تملك جميع وسائل نشر النور ، في حين تتخطب أغليبتها في الظلام ؟ أول ما يتبادر إلى الذهن أنها تسيء أو تهمل استعمال وسائل النشر ، أو على أبسط الفروض أنها تجهل الكيفية المثلى للتعامل معها . وقد تسيء الظن فترمى المسئولين عن تلك الوسائل بالجهل ، وربما زادت فرصتهم بسوء النية ، وقد تغالى فلا تعفيهم من التآمر .

والإفعل عليك أن تفسر لى كيف نملك ذلك العدد الوفير من المدارس والمعاهد ، والجامعات ، والمساجد ، والكنائس ، والصحف ، والمجلات ، وقصور الثقافة ، والمكتبات ، كيف نملك ذلك كله ويخلو ضمير واحد من ماء الإيمان الصافي النقي ؟ أو يخلو عقل من نور العلم والتفكير ؟ أو يخلو ذوق من الإحساس بالجمال في أروع أشكاله وأنواعه ؟ بل فسر لى كيف نملك ذلك الثراء كله في وسائل التربية والتعليم والتهذيب ، ويشيع في أغليبتنا الخرافات والترهات والجهل ، والانحراف والعكوف على السفساف والأكاذيب ؟ !

لا أخوض في التفاصيل والشواهد ، فقد سمعت ولا شك عن الكثير منها ، وقرأت بعض مضحكاتها ، ونوّة الرؤاة ببعض غرائبها . لن أخوض في ذلك ، ولكنى سألخص موقفنا الذى يدعو للأسف في

كلمات، وهى : أننا نمر بفترة عسيرة ، حتى لتبدو أرواحنا مهددة
بالكدر ، وعقولنا غارقة فى العتمة ، وأذواقنا مخدرة بالبلادة .
إن ذلك غير جائز ولا لائق ونحن نملك ذلك الكم الوفير من وسائل
نشر النور .

(١٩٩٣ / ٩ / ٩)

نحو حياة جديدة

لا مغالاة في التفاؤل لمن يصدق اليوم أننا مقبلون على دخول مرحلة السلام الشامل العادل ، وهى مرحلة طالما تاق إليها كثيرون من أهل هذه المنطقة ، كثيرون ممن أدركوا أبعاد المأساة التى تخبطت فيها ، وهالهم ما عاناه أهلها من تضحيات مادية وأدبية وحضارية بذلوها وهم يشقون مَسِيرَةً عسيرة فى سبيل عقيم .

اليوم يعلو صوت العقل ، وتحترم مقتضيات الواقع ، فيتم الاعتراف المتبادل بين الفلسطينيين والإسرائيليين ، وتتوالى الدفعات نحو تحقيق السلام الحقيقى .

ولا أقول إن ذلك سيلقى موافقة كاملة أو رضاً شاملاً ، فإن تَنَاحَرَ ما يقرب من نصف قرن من الزمان لا يمكن أن ينتهى بمثل تلك النهاية السعيدة .

في الجانبين العربى والإسرائيلى خليط من المعتدلين والمتطرفين ، واليمينيين واليساريين ، فلا مفر من الاختلاف ، ولا مهرب من التناقض ، ولكن المهم أن ترضى الأغلبية وتوافق ، والبقية تُتْرَكُ للزمن ، فهو الكفيل بالكشف عن حسنات الاتفاق ومميزاته ، مما قد يقنع المخالفين ويجذبهم إلى صفه . وإنى أعتبر الزمن هو المفاوض الأخير

الذى سيقول الكلمة التاريخية الفاصلة . ويجب أن يكون مفهومًا أن السلام الحقيقي يبدأ مع المعاملة ، كما يتمثل في حوار الحضارتين ولقاء الثقافتين ، والتعاون الاقتصادى والعلمى ، وقد يهين ذلك للمنطقة من النمو والتقدم ما هى جديرة به .

وعلى جميع الدول العربية - مهما تكن مواقفها من الاتفاقات الجديدة - أن تعيد النظر في حياتها بنفس العقل والواقعية ، وأن تجدد سياستها على ضوء متطلبات المنطقة الجديدة ، ومبادئ العالم الجديد .

(١٩٩٣ / ١٠ / ١٤)

عالمية الأدب العربى

يتساءلون كثيراً عن عالمية الأدب العربى . عن طريقه إليها وحظه منها ، وعلاقة ذلك بجائزة نوبل .

وعالمية الأدب تعنى بكل بساطة أن يتجاوز حدود لغته ، وأن يحظى بالقراءة والتغيير الجاد خارج حدود وطنه ، فيجد من المعجبين في شتى الأوطان مثلما يجد في وطنه . والعالمية بهذا المعنى هدفٌ سام لكل أدب ، وهو لا يبلغها حتى يحقق قدرًا محترمًا من العمق والشمول والإنسانية ، مع المحافظة الصادقة على أصالته ورؤيته الذاتية ، وهذه معادلة صعبة ، ولكنها تتحقق كل يوم مع كل أدب عالمي ، ويُيسر أمرها في النهاية وحدة الطبيعة البشرية واتفاقها في المبدأ والمصير ، وتقاربها في الآمال والأحلام والألام .

وليس لتلك علاقة حتمية بأى جائزة ، فقد تشهد جائزة لكاتبٍ بالعالمية ، ولكن العشرات والمئات يظفرون بالعالمية دون جائزة نوبل ، حتى أحيانًا مع رفض الجائزة لبعضهم ، لعدم انطباق شروطها عليهم ، ولكن تظل العالمية في حاجة إلى من يستكشفها بالترجمة الصحيحة والدعاية المشروعة للفت نظر النقاد والقراء إليها . وأغلبية الكُتّاب العالميين عرفوا العالمية عن هذه السبيل ، والقلّة منهم التي عرفوها عن

طريق الجائزة ، وحتى في تلك الحال فالجائزة ليست إلا شهادة أولى ، أما الاختبار النهائي فيتقرر بين الكاتب وجمهور القراء المثقفين في العالم .
والأدب العربي لا ينقصه العالمية ، ولكن يعوزه النشاط المصاحب لها ، وأنا لا أشك في أن عددًا لا بأس به من الشعراء والكتّاب العرب يستحقون العالمية - ونوبل ضمناً - وأنهم ينتظرون الفرصة المواتية .

(١٩٩٣ / ١٠ / ٢٨)

من الفداية إلى العقلية

تمر النهضة العربية الحديثة بمرحلتين ، مرحلة التحرير ومرحلة البناء ، والمرحلتان متداخلتان غير منفصلتين ، فقد بدأ البناء في مرحلة التحرير ، كما أن مرحلة البناء لا تخلو من رواسب من مرحلة التحرير لم تتم تصفيتها . ونلقى شيئاً من الضوء فنقول : إن فترة التحرير تشمل التحرير من الاستعمار والاستعباد الداخلي ، والأفكار والتقاليد التي تجاوزها الزمن .

وفرة البناء تشمل الإبداع الحضارى فى شتى ألوانه ، من صناعة وزراعة وعلم وثقافة ، وبصفة عامة أثبت العربى أنه على المستوى المطلوب لإنجاز المهمة الأولى . قام بثورات كثيرة سياسية واجتماعية وفكرية ، وقدم الشهداء والضحايا بغير حساب ، وتحمل القهر والعسف ، وصار الفدائى العربى عنواناً لتلك المرحلة البطولية ، وتجسدت فيه التضحية بأجلى معانيها ، وتحمل لواء تلك الصفة النبيلة آلاف الشبان وعشرات القادة والزعماء ، فكانت مرحلة التحرير بمعناه الشامل ، كما كانت مرحلة الفدائى بمعناه السامى .

ولكن مرحلة البناء تتطلب نوعية أخرى من البشر ، وربما استتقت من الفداية روحها المضحية أبداً فى سبيل القيم السامية ، ولكنها تبنى

أساسًا على معاهد التعليم السليم ، ومن الاجتهاد والمثابرة والصبر ، وفي
رحاب عشق الحقيقة ، والشغف بالكشف عن المجهول ، إلى نوعية
العلم والبحث العلمى ، وتقديس الإنتاج والعمل .
اليوم يجب أن يحتل العربى الفكر الباحث المنتج مكان العربى
الفدائى الذى يقوم بعملية التحرير وتمهيد الطريق .
إنه زمن العقل ، وسبحان الذى كَرَّمَنَا بالعقل ومَيَّزَنَا به .

(١٩٩٣ / ١٢ / ٢٣)

ولادة عسيرة !

سَلْ أَيْ عَرَبِي : أَيُّهَا خَيْرُ الْعَرَبِ : أَنْ يَخْتَلَفُوا لِأَسْبَابٍ بَسِيطَةٍ أَوْ مُعَقَّدَةٍ ، أَمْ أَنْ تَزُولَ مِنْ بَيْنِهِمْ جَمِيعُ أَسْبَابِ الْخِلَافِ ؟ .

سَلْ أَيْ عَرَبِي : أَيُّهَا أَفْضَلُ لِلْعَرَبِ : أَنْ يُوَاكِهُوا الْعَالَمَ مُتَفَرِّقِينَ مُتَنَازِعِينَ ، أَمْ يُوَاكِهُوا كُتْلَةً مُتَوَافِقَةً عَلَى الْأَقْلَ فِي الدَّوَاغِ وَالْأَهْدَافِ ؟ .

سَلْ أَيْ عَرَبِي : أَيُّهَا أَنْفَعُ لِلْعَرَبِ : أَنْ يُنَمُّوا بِلَادِهِمْ ، كُلٌّ بِاجْتِهَادِهِ وَسَعْيِهِ ، أَمْ يُنَمُّوْهَا بِاسْتِثْمَارِ فَوَائِضِ أَمْوَالِهِمْ فِي تَكَامُلِهِمُ الْاِقْتِصَادِي ؟ .

لَا أَعْتَقِدُ أَنَّكَ سَتَلْقَى إِجَابَةً وَاحِدَةً سَالِبَةً .

سَلْهُ بَعْدَ ذَلِكَ :. لِمَاذَا لَا يَتَحَقَّقُ ذَلِكَ بِرُغْمِ غَزَاةِ دَوَاعِيهِ الْمُعَاَصِرَةِ وَالتَّارِيخِيَّةِ ؟ سَوْفَ يَحْدِثُكَ عَنْ الْحُدُودِ ، وَبَعْضِ الرُّوَاسِبِ التَّارِيخِيَّةِ ، وَذِكْرِيَّاتِ الْغَزْوِ الْعَدَوَانِيِّ الْأَلِيْمَةِ . وَنَحْنُ لَا نَتَجَاهَلُ الطَّبِيعَةَ الْبَشَرِيَّةَ وَنَسْتَطِيعُ أَنْ نَجِدَ لِكُلِّ عِلَّةٍ عَذْرًا ، وَلَا نَرِيدُ أَنْ نَبَالِغَ فِي الْمَثَالِيَةِ وَنَشْدَانِ الْكِمَالِ ، وَلَكِنَّا نَطَالِبُ بِالِاسْتِمَاعِ إِلَى صَوْتِ الْعَقْلِ ، كَمَا نَسْتَمِعُ إِلَى نِدَاءِ الْغَرِيزَةِ . يَجِبُ أَنْ نَعْتَرِفَ بِأَنَّنا فِي حَاجَةٍ إِلَى جُرْعَاتٍ مِنَ الْمَوْضُوعِيَّةِ الصَّادِقَةِ .

يَجِبُ أَنْ نَرَاجِعَ أَنْفُسَنَا مَرَاتٍ وَمَرَاتٍ . يَجِبُ أَنْ نَرْفَعَ مُسْتَقْبَلَنَا فَوْقَ

دوامه الخلافات والأحقاد ، وأن نؤمن تمامًا بأنه لا حياة لنا بدون التكتل والتعاون ، التكتل والتعاون الاقتصادي والعلمي والثقافي قبل السياسي ، لا لقلة أهمية الجانب السياسي ، ولكن ليكون البدء بما يمكن أن نتفق فيه بدون مشقة . وحتى إذا لم يمكن البدء بالتعاون الشامل ، فلنبدأ بالتعاون الممكن في حدوده المتاحة .

على أى حال يجب أن نبدأ . . ولعل واجب الجامعة العربية الأول في هذه الفترة التاريخية هو العمل على حل المشكلات وإزالة أسباب الخلاف لإفساح المجال للتكتل المنشود . . يجب أن تكون الجامعة هي السبيل إلى التجمع الحق .

(١٩٩٤ / ٥ / ١٩)

أعمال الكاتب

أعماله بالعربية :

ـ الرواية :

- ١ ـ عبث الأقدار . ١٩٣٩ .
- ٢ ـ رادوبيس . ١٩٤٣ .
- ٣ ـ كفاح طيبة . ١٩٤٤ .
- ٤ ـ القاهرة الجديدة . ١٩٤٥ .
- ٥ ـ خان الخليلي . ١٩٤٦ .
- ٦ ـ زقاق المدق . ١٩٤٧ .
- ٧ ـ السراب . ١٩٤٨ .
- ٨ ـ بداية ونهاية . ١٩٤٩ .
- ٩ ـ بين القصرين . ١٩٥٦ .
- ١٠ ـ قصر الشوق . ١٩٥٧ .
- ١١ ـ السكرية . ١٩٥٧ .
- ١٢ ـ أولاد حارتنا . ١٩٦٠ .

- ١٣ - اللص والكلاب ١٩٦١ .
١٤ - السمان والخريف ١٩٦٢ .
١٥ - الطريق ١٩٦٤ .
١٦ - الشحاذ ١٩٦٥ .
١٧ - ثرثرة فوق النيل ١٩٦٦ .
١٨ - ميرامار ١٩٦٧ .
١٩ - المرايا ١٩٧٢ .
٢٠ - الحب تحت المطر ١٩٧٣ .
٢١ - الكرنك ١٩٧٤ .
٢٢ - حكايات حارتنا ١٩٧٥ .
٢٣ - قلب الليل ١٩٧٥ .
٢٤ - حضرة المحترم ١٩٧٥ .
٢٥ - ملحمة الخرافيش ١٩٧٧ .
٢٦ - عصر الحب ١٩٨٠ .
٢٧ - أفراح القبة ١٩٨١ .
٢٨ - ليالى ألف ليلة ١٩٨٢ .
٢٩ - الباقي من الزمن ساعة ١٩٨٢ .
٣٠ - رحلة ابن فطوة ١٩٨٣ .

- ٣١ - العائش في الحقيقة . ١٩٨٥
- ٣٢ - يوم قتل الزعيم . ١٩٨٥
- ٣٣ - حديث الصباح والمساء . ١٩٨٧
- ٣٤ - قشتمر . ١٩٨٨
- القصص القصيرة :**
- ٣٥ - همس الجنون . ١٩٣٨
- ٣٦ - دنيا الله . ١٩٦٣
- ٣٧ - بيت سيئ السمعة . ١٩٦٥
- ٣٨ - خمار القط الأسود . ١٩٦٩
- ٣٩ - تحت المظلة . ١٩٦٩
- ٤٠ - حكاية بلا بداية ولا نهاية . ١٩٧١
- ٤١ - شهر العسل . ١٩٧١
- ٤٢ - الجريمة . ١٩٧٣
- ٤٣ - الحب فوق هضبة الهرم . ١٩٧٩
- ٤٤ - الشيطان يعظ . ١٩٧٩
- ٤٥ - رأيت فيما يرى النائم . ١٩٨٢
- ٤٦ - التنظيم السري . ١٩٨٤
- ٤٧ - صباح الورد . ١٩٨٧

- ٤٨ - الفجر الكاذب . ١٩٨٩ .
- ٤٩ - القرار الأخير
- الترجمات والحوارات :
- ٥٠ - مصر القديمة . ١٩٣٢ .
- ٥١ - أمام العرش . ١٩٨٣ .
- (سيرة ذاتية) :
- كتب للأطفال
- ٥٢ - أصداء السيرة الذاتية . ١٩٩٥ .
- ٥٣ - عجائب الأقدار
- المقالات :
- ٥٤ - حول الدين والديمقراطية .
- ٥٥ - حول الشباب والحرية .
- ٥٦ - حول الثقافة والتعليم .
- ٥٧ - حول التدين والتطرف .
- ٥٨ - حول العدل والعدالة .
- ٥٩ - حول التحرر والتقدم .
- ٦٠ - حول العلم والعمل .
- ٦١ - حول العرب والعروبة .

* وتنوى الدار المصرية اللبنانية - بإذن الله - مواصلة نشر مقالاته التى كان قد بدأها عام ١٩٣٤ ونُشرت فى المجلات والصحف المختلفة داخل وخارج مصر .

المسرحيات :

سبع مسرحيات من ذات الفصل الواحد ، خمس منها فى مجموعة «تحت المظلة» وهى :

٦٢ - يَمِيت وَيُحْيِي .

٦٣ - التركة .

٦٤ - النجاة .

٦٥ - مشروع للمناقشة .

٦٦ - المهمة .

ومسرحيتان فى مجموعة «الشیطان يعظ» هما :

٦٧ - الجبل .

٦٨ - الشیطان يعظ .

* أعد مصطفى بهجت مصطفى المسرحيات الثلاث الأولى وحولها إلى العامية ، وأخرجها أحمد عبد الحليم على مسرح الجيب عام ١٩٦٩ بعنوان «تحت المظلة» .

الروايات والقصص التى أعدت للمسرح :

- ١ - زقاق المدق : إعداد أمينة الصاوى ، إخراج كمال يس ١٩٥٨ .
- ٢ - بداية ونهاية : إعداد أنور فتح الله ، إخراج عبد الرحيم الزرقانى ١٩٦٠ .
- بداية ونهاية : إعداد أحمد عبد المعطى ، إخراج فتحى الحكيم ١٩٧٦ .
- بداية ونهاية : إعداد أنور فتح الله ، إخراج عبد الغفار عودة ١٩٨٦ .
- ٣ - بين القصرين : إعداد أمينة الصاوى ، إخراج صلاح منصور ١٩٦٠ .
- ٤ - قصر الشوق : إعداد أمينة الصاوى ، إخراج كمال يس ١٩٦١ .
- ٥ - اللص والكلاب : إعداد أمينة الصاوى ، إخراج حمدي غيث ١٩٦٢ .
- ٦ - الجوع : إعداد فايز حلاوة وإخراجه (قهوة التوتة) ١٩٦٢ .
- ٧ - خان الخليلي : إعداد صلاح طنطاوى ، إخراج حسين كمال ١٨٦٣ .
- ٨ - روض الفرج : إعداد صلاح طنطاوى ، إخراج حسين كمال ١٩٦٤ .

- ٩- ميرامار : إعداد نجيب سرور وإخراجه ١٩٦٩ .
- ١٠ - القاهرة ٨٠ : إعداد سمير العصفورى وإخراجه ١٩٨٩ .
- ١١ - حارة العشاق إعداد أحمد عبد المعطى ، وإخراج أحمد هانى ١٩٨٩ .

السيناريوهات :

- ١ - المنتقم : إخراج صلاح أبو سيف ١٩٤٧ .
- ٢ - عنتر وعبلة : إخراج صلاح أبو سيف ١٩٤٨ .
- ٣ - لك يوم يا ظالم : إخراج صلاح أبو سيف ، عن قصة إميل زولا «تريز راكان» ١٩٥١ .
- ٤ - ريا وسكينة : إخراج صلاح أبو سيف ١٩٥٣ .
- ٥ - الوحش : إخراج صلاح أبو سيف ١٩٥٤ .
- ٦ - جعلونى مجرمًا : إخراج عاطف سالم ١٩٥٤ .
- ٧ - فتوات الحسينية : إخراج نيازى مصطفى ١٩٥٤ .
- ٨ - شباب امرأة : إخراج صلاح أبو سيف ، عن قصة أمين يوسف غراب ١٩٥٥ .
- ٩ - درب المهايل : إخراج توفيق صالح ١٩٥٥ .
- ١٠ - النمرود : إخراج عاطف سالم ١٩٥٦ .

- ١١ - الفتوة : إخراج صلاح أبوسيف ١٩٥٧ .
- ١٢ - الطريق المسدود : إخراج صلاح أبو سيف ، عن قصة إحسان عبد القدوس ١٩٥٨ .
- ١٣ - الهاربة : إخراج حسن رمزي ١٩٥٨ .
- ١٤ - أنا حرة : إخراج صلاح أبو سيف ، عن قصة إحسان عبد القدوس ١٩٥٩ .
- ١٥ - إحن التلامذة : إخراج عاطف سالم ١٩٥٩ .
- ١٦ - بين السماء والأرض : إخراج صلاح أبو سيف ١٩٥٩ .
- ١٧ - جميلة : إخراج يوسف شاهين ، عن قصة يوسف السباعي ١٩٥٩ .
- ١٨ - الناصر صلاح الدين : إخراج يوسف شاهين ، عن قصة يوسف السباعي ١٩٦٣ .
- ١٩ - ثمن الحرية : إخراج نور الدمرداش ١٩٦٥ .
- ٢٠ - الاختيار : إخراج يوسف شاهين ١٩٧١ .
- ٢١ - دلال المصرية : إخراج حسن الإمام ١٩٧١ .
- ٢٢ - ذات الوجهين : إخراج حسام الدين مصطفى ١٩٧٣ .
- ٢٤ - المجرم : إخراج صلاح أبو سيف (لك يوم يا ظالم) ١٩٧٨ .
- ٢٥ - وكالة البلح : إخراج حسام الدين مصطفى ١٩٨٣ .

الروايات والقصص التى أعدت للسينما :

- ١ - بداية ونهاية : إخراج صلاح أبو سيف ١٩٦٠ .
- ٢ - زقاق المدق : إخراج حسن الإمام ١٩٦٣ .
- ٣ - اللص والكلاب : إخراج كمال الشيخ ١٩٦٣ .
- ٤ - بين القصرين : إخراج حسن الإمام ١٩٦٤ .
- ٥ - الطريق : إخراج حسام الدين مصطفى ١٩٦٤ .
- ٦ - خان الخليلي : إخراج عاطف سالم ١٩٦٦ .
- ٧ - القاهرة ٣٠ : إخراج صلاح أبو سيف ١٩٦٦ .
- ٨ - قصر الشوق : إخراج حسن الإمام ١٩٦٧ .
- ٩ - السمان والحريف : إخراج حسام الدين مصطفى ١٩٦٨ .
- ١٠ - ميرamar : إخراج كمال الشيخ ١٩٦٩ .
- ١١ - السراب : إخراج أنور الشناوى ١٩٧٠ .
- ١٢ - ثرثرة فوق النيل : إخراج حسين كمال ١٩٧١ .
- ١٣ - صور ممنوعة : إخراج مذكور ثابت ، (من خمارة القط الأسود)
١٩٧٢ .
- ١٤ - السكرية : إخراج حسن الإمام ١٩٧٣ .
- ١٥ - الشحات : إخراج حسام الدين مصطفى ١٩٧٣ .

- ١٦ - أميرة حبى أنا : إخراج حسن الإمام ، (من المرايا) ١٩٧٤ .
- ١٧ - الكرنك : إخراج على بدرخان ١٩٧٥ .
- ١٨ - الحب تحت المطر : إخراج حسين كمال ١٩٧٥ .
- ١٩ - الشريفة : إخراج أشرف فهمى ، (من همس الجنون) ١٩٨٠ .
- ٢٠ - فتوات بولاق : إخراج يحيى العلمى ، (من حكايات حارتنا) ١٩٨١ .

المقاهى .. فى حياته :

- ١ - مقهى عرابى بالعباسية .
- ٢ - مقهى قشتمر بشارع الجيش .
- ٣ - مقهى الفيشاوى بالحسين .
- ٤ - مقهى زقاق المدق .
- ٥ - مقهى الفردوس .
- ٦ - مقهى ركسى .
- ٧ - مقهى لونا بارك .
- ٨ - مقهى أحمد عبده بالحسين .
- ٩ - مقهى على بابا بالتحريير .
- ١٠ - مقهى ريش بالتحريير .

١١ - كازينو قصر النيل .

١٢ - كازينو كليوباترا .

١٣ - مقهى ديليسبس بالإسكندرية .

١٤ - كازينو بترو بسيدى بشر .

١٥ - كازينو ميرامار بالإسكندرية .

١٦ - كازينو سان استيفانو .

كتبه .. مترجمة إلى اللغات الأخرى

١٩٦٠ .	بيروت	ق . المنصور	١ - همس الجنون
١٩٦٢ .	جامعة القاهرة	صفية ربيع	٢ - الزعبلوى
١٩٦٤ .	دورية أمريكية	روجر السن	٣ - دنيا الله
١٩٦٦ .	جامعة ميتشجان	تريفور لوجاسيك	٤ - زقاق المدق
١٩٦٧ .	دورية بريطانية	نسيم رجوان	٥ - الزعبلوى
١٩٦٧ .	جامعة أكسفورد	دنيس جونسون	٦ - الزعبلوى
١٩٦٨ .	جامعة الإسكندرية	عمود المنزلاوى	٧ - قصص قصيرة
١٩٦٨ .	دار المعارف (القاهرة)	عمود المنزلاوى	٨ - دنيا الله
١٩٧٣ .	دار أمريكية	روجر السن	٩ - دنيا الله
١٩٧٣ .	جامعة بيروت	جوزيف أولين	١٠ - القصص القصيرة
١٩٧٥ .	لندن	تريفور لوجاسيك	١١ - زقاق المدق
١٩٧٦ .	لندن	دنيس جونسون	١٢ - تحت المظلة
١٩٧٧ .	دار أمريكية	روجر السن	١٣ - المرايا
١٩٧٧ .	كندا	سعد الجبلاوى	١٤ - شمارة القط الأسود
١٩٧٨ .	لندن	فاطمة مرسى	١٥ - ميرامار

١٦ - اللص والكلاب	تريفور لوجاسيك	الجامعة الأمريكية	١٩٨٤ .
١٧ - أفراح القبة	أوليف كينسى	الجامعة الأمريكية	١٩٨٤ .
١٨ - السمان والحريف	روجر السن	الجامعة الأمريكية	١٩٨٥ .
١٩ - بداية ونهاية	رمسيس عوض	الجامعة الأمريكية	١٩٨٥ .
٢٠ - الشحات	كريستين وكهنزى	الجامعة الأمريكية	١٩٨٦ .
٢١ - حضرة المحترم	رشيد العنانى	لندن ونيويورك	١٩٨٦ .
٢٢ - حضرة المحترم	رشيد العنانى	الجامعة الأمريكية	١٩٨٧ .
٢٣ - الطريق	محمد إسلام	الجامعة الأمريكية	١٩٨٧ .
٢٤ - اللص والكلاب	عادل إلياس	جدة	١٩٨٧ .
٢٥ - حكايات حارتنا	سعاد صبحى	واشنطن	١٩٨٨ .

كتب عربية .. عن حياته وأعماله

- ١ - قضيته الشكل الفني د . نبيل راغب هيئة الكتاب (القاهرة) ١٩٦٧ .
- ٢ - الممتنى د . غالى شكرى دار المعارف (القاهرة) ١٩٦٧ .
- ٣ - تأملات فى عالم محفوظ محمود أمين العالم دار المعارف (القاهرة) ١٩٧٠ .
- ٤ - مع نجيب محفوظ أحمد محمد عطية دمشق ١٩٧١ .
- ٥ - الإسلامية فى أدب محفوظ د . محمد حسن عبدالله الكويت ١٩٧٢ .
- ٦ - الله فى رحلة محفوظ جورج طرابيشى بيروت ١٩٧٣ .
- ٧ - قراءة الرواية فى عالم محفوظ د . محمود الربيعى دار المعارف (القاهرة) ١٩٧٤ .
- ٨ - دراسة فى أدب محفوظ د . رجاء عيد ١٩٧٤ .
- ٩ - محفوظ على الشاشة هاشم النحاس هيئة الكتاب (القاهرة) ١٩٧٥ .
- ١٠ - الرؤية والأداة د . عبد المحسن طه بدر دار المعارف (القاهرة) ١٩٧٨ .
- ١١ - العالم الروائى عند محفوظ إبراهيم فتحى دار الفكر المعاصر (القاهرة) ١٩٧٨ .
- ١٢ - نجيب محفوظ د . على شلش بيروت ١٩٧٩ .
- ١٣ - الروائيون الثلاثة يوسف الشارونى هيئة الكتاب (القاهرة) ١٩٨٠ .
- ١٤ - ثلاثية نجيب محفوظ جاك جوميه بيروت ١٩٨٠ .
- ١٥ - الرمزية فى أدب محفوظ د . فاطمة الزهراء سعيد بيروت ١٩٨١ .
- ١٦ - دنيا نجيب محفوظ ساسون سومينخ تل أبيب ١٩٨٢ .
- ١٧ - قصة الأجيال د . ناجى نجيب المكتبة الثقافية (القاهرة) ١٩٨٢ .
- ١٨ - أدب نجيب محفوظ ساسون سومينخ عكا ١٩٨٢ .
- ١٩ - بناء الرواية د ميزا قاسم هيئة الكتاب (القاهرة) ١٩٨٤ .
- ٢٠ - محفوظ حياته وأعماله نبيل فرج هيئة الكتاب (القاهرة) ١٩٨٦ .
- ٢١ - محفوظ يتذكر جمال الغيطانى أخبار اليوم (القاهرة) ١٩٨٧ .
- ٢٢ - الفن القصصى يوسف نوفل هيئة الكتاب (القاهرة) ١٩٨٨ .
- ٢٣ - عالم نجيب محفوظ د . رشيد العنانى الهلال (القاهرة) ١٩٨٨ .

كتب .. تضمنت فصولاً عنه

لطف حسين - عباس خضر - فؤاد دودة - على الراعي - جلال العشري -
 رشاد رشدى - يوسف الشارونى - غالى شكرى - صلاح عبد الصبور - لويس
 عوض - شكرى عياد - سيد قطب - أنور المعداوى - محمد مندور - فاروق
 منيب - رجاء النقاش - حسن البندارى - فتحى العشري .

كتب أجنبية .. عن أعماله

١٩٦٦ .	بيروت	تريفور لوجاسيك	١ - زقاق المدق
١٩٧٢ .	الأنجلو (القاهرة)	عادل إلياس	٢ - عالم محفوظ
١٩٧٢ .	تل أبيب	ساسون سومينغ	٣ - دنيا محفوظ
١٩٧٢ .	أمريكا	روجر السن	٤ - المرايا
١٩٧٣ .	هولندا	ساسون سومينغ	٥ - روايات محفوظ
١٩٧٤ .	لندن	هيلارى كيليا تريك	٦ - الرواية المصرية
١٩٧٩ .	كندا	سعد الجبلاوى	٧ - الكرنك
١٩٨٠ .	تل أبيب	ساسون سومينغ	٨ - حكايات حارتنا
١٩٨١ .	لندن	فيليب ستوروات	٩ - أولاد حارتنا
١٩٨٣ .	لندن	على جاد	١٠ - الرواية المصرية
١٩٨٣ .	نيوجرسى	بيليد ماتينهاو	١١ - أعمال محفوظ

دراسات أجنبية .. عن أعماله

١٩٦٤ .	دورية أمريكية	روجر السن	١ - دنيا الله
١٩٧٠ .	هولندا	مناحم ميسون	٢ - الروايات والقصص
١٩٧٠ .	هولندا	سامون سومينخ	٣ - الزعبلوى
١٩٧١ .	بريطانيا	فاتيكوتس	٤ - أولاد حارتنا
١٩٧٢ .	دورية أمريكية	روجر السن	٥ - المرايا
١٩٧٣ .	دورية أمريكية	روجر السن	٦ - المرايا
١٩٧٤ .	هولندا	منى نجيب ميخائيل	٧ - نجيب محفوظ
١٩٧٥ .	لندن	ر. س. أوستيل	٨ - الأدب العربى
١٩٧٦ .	هولندا	صبرى حافظ	٩ - الرواية المصرية
١٩٧٦ .	أمريكا	حسن الشامى	١٠ - بين القصرين
١٩٧٦ .	لندن	فاطمة موسى	١١ - زقاق المدق
١٩٧٧ .	هولندا	اكسفير فرانسيس	١٢ - النساء عند محفوظ
١٩٧٧ .	واشنطن	تريفور لوجاسيك	١٣ - الكرنك
١٩٨٤ .	هولندا	جابر ايل مائير	١٤ - المجتمع الإسلامى
١٩٨٥ .	هولندا	جرير أبو خيدر	١٥ - أولاد حارتنا

رسائل جامعية .. عنه

١٩٦٣ .	أكسفورد	فيليب ستورات	أولاد حارتنا	١ - ماجستير
١٩٧١ .	كاليفورنيا	يليد ماتينهاو	الأعمال الأدبية	٢ - دكتوراه
١٩٧٢ .	كولومبيا	أكسفيرفرانسييس	الروايات	٣ - دكتوراه
١٩٧٢ .	متشجان	منى نجيب ميخائيل	أدبه	٤ - دكتوراه
١٩٧٤ .	أكسفورد	على جاد	الرواية المصرية	٥ - دكتوراه
١٩٧٥ .	لندن	ر . س . أوستيل	الأدب العربى	٦ - دكتوراه
١٩٧٩ .	أوكلاهوما	عادل إلياس	اللص والكلاپ	٧ - دكتوراه
١٩٧٩ .	آلستر	عبد الوهاب الحاكى	التجديد والتقليد	٨ - دكتوراه
١٩٨٠ .	ألينوز	سمير مصطفى	أهل القاهرة	٩ - دكتوراه
١٩٨١ .	أدنبرة	عدنان الوزان	الواقعية	١٠ - دكتوراه
١٩٨٢ .	متشجان	أحمد الروبى	الموت	١١ - دكتوراه
١٩٨٢ .	أكسفورد	محمد محمود	أدبه	١٢ - دكتوراه
١٩٨٤ .	أريزونا	ريتشارد كينيث	السلطة	١٣ - ماجستير
١٩٨٤ .	أدنبرة	حسين يوسف حسين	الروايات التاريخية	١٤ - دكتوراه
١٩٨٤ .	آلستر	أ . البسام	دراسة مقارنة	١٥ - دكتوراه
١٩٨٤ .	آلستر	رشيد الغسانى	حضرة المحترم	١٦ - دكتوراه
١٩٨٤ .	ألينوز	منى شفيق فايد	العبيية	١٧ - دكتوراه
١٩٨٧ .	آلستر	سعاد فطيم	بين القصرين	١٨ - دكتوراه
١٩٨٨ .	كونيتيكيك	سميحة صليب	زقاق المدق	١٩ - ماجستير

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة
نجيب محفوظ من الجائزة إلى الطعنة	٥
بين الواقع والحلم	١٥
القومية العربية بين الواقع والحلم	١٧
نحو وحدة عربية جديدة	١٩
هذا العيد	٢١
توحيد القطرين	٢٣
وحدة الأساس	٢٥
دم الثوار	٢٧
الحرب	٢٩
الهوية والهدف	٣١
التكريم المنسى	٣٣
كنز للزمن الطويل	٣٥
نحو التكامل والحضارة	٣٧
الوحدة الثقافية	٣٩
دار الحكمة	٤١
	١٩٥

٤٣	النجوى بين الأشقاء
٤٥	٦ أكتوبر
٤٧	فى الطريق الذهبى
٤٩	نوبل ١٩٨٩
٥١	زوبعة فى فنجان العرب
٥٣	آمالنا فى العام الجديد
٥٥	أمثلة يضربها العصر
٥٧	الأمة العربية تواجه الزمن
٥٩	قمة الآمال
٦١	الجريمة والرسالة
٦٣	أمانى عربية
٦٥	الطريق العربى
٦٧	حرب الرهائن
٦٩	الحرب
٧١	الحرب والسلام
٧٣	الدروس القاسية
٧٥	من الجانى ؟
٧٧	الخط بين السلام والحرب
٧٩	خطوة منشودة للسلام
٨١	صراع الخير والشر
٨٣	مقارنة بين الحليّن

٨٥	دعوة إلى الجهاد الأكبر
٨٧	رحلة إلى المستقبل
٨٩	حلم ساعة
٩١	حوار مع الرؤية
٩٣	رئيس لكل العصور
٩٥	اعترافات نصف الليل
٩٧	المصالح والمبادئ
٩٩	اعرف نفسك
١٠١	بطل الترسو
١٠٣	باب الأمل
١٠٥	حائط المبكى العربى
١٠٧	المأساة بين الواقع والخيال
١٠٩	المأساة
١١١	معركة السلام
١١٣	العودة إلى البيت
١١٥	غداً يوم جديد
١١٧	الهدف الأعلى
١٢١	الشأوم والتفاؤل
١٢٣	انتحار زعامة
١٢٥	وقفه مع الذكريات
١٢٧	مبادرة بوش
١٩٧	

١٢٩	نحو رؤية جديدة
١٣١	دفاعاً عن الحرية والكرامة
١٣٣	الأصل والصورة
١٣٥	الواقع والحلم
١٣٧	من حالٍ إلى حال
١٣٩	للكابوس نهاية
١٤١	الوطن الكبير
١٤٣	تجربة الجزائر
١٤٥	أهمية السلام
١٤٧	طريق العدل
١٤٩	كيف نحافظ على هويتنا ؟
١٥١	الطريق العربي
١٥٣	الماضي والحاضر في عالم متغير
١٥٥	حركة مباركة
١٥٧	الحرب والشرعية الدولية
١٥٩	مصر والسودان
١٦١	العرب في عالم الغد
١٦٣	مراجعة شاملة
١٦٥	ثمن السلام
١٦٧	ما يليق وما لا يليق
١٦٩	نحو حياة جديدة

١٧١

١٧٣

١٧٥

١٧٧

عالمية الأدب العربي
من الفدائية إلى العقلية
ولادة عسيرة
أعمال الكتاب

الحمد لله الذي
 الزميل فكي المشرى لما
 جمعت وبعثت النفا هذه
 في كتابه فيفضل
 فضل واستخدم نوعيات
 ونجح في إقناعه بالمدافعة
 نشرها
 اني أشكره وأرجو
 أنه يشارك في القارئ في شكره

نجيب محفوظ
 ١٩٨٩ / ٧ / ٧

